رحلة مع
بائعة الخبز
وقصص أخرى

مجموعة قصصية

محمد فرج المعالي

2022

رحلة مع بائعة الخبز
وقصص أخرى
محمد فرج المعالي
مجموعة قصصية

الطبعة الأولى: 2022

تصميم الغلاف: أحمد المالكي

التنسيق الداخلي: فلاح العيساوي

إصدار منشورات أحمد المالكي

العراق - بغداد - شارع المتنبي

موبايل

07733929378

07819313395

البريد الإلكتروني

ahmedalmaliki0090@gmail.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد

0000 لسنة 2022م

الرقم الدولي: 0 - 0 - 000 - 9922 - 978

جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلف.
الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن رأي المؤلف
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

محمد فرج المعالي

رحلة مع بائعة الخبز
وقصص أخرى

مجموعة قصصية

٢٠٢٢

الإهداء

إلى أبي دائماً وأبداً .

إليك يا حيدر ، هناك بين النجوم.

إلى (S) التي تصعد وتنزل مع النفس.

إلى المنسيين في هذا الكتاب.

أبناء زهرة

لم تكن زهرة بائعة الخبز تريد ان تصدق أنها عاقر، وإن كان يتلبسها القلق في قرار نفسها من ذلك، لكنها كانت تنسج القصص من خيالها عن الآم الولادة وتربية الاطفال المنهكة على رفيقاتها، الاتي كن يبيعن القيمر والشاي في سوق الخضر، وكانت كل يوم تحكي لرفيقاتها عن ابنها علي الذي كان شقياً ولا يكف عن تسلق النخيل وعن ابنتها شيماء التي مزقت ثوبها اثناء القفز مع بنات القرية، وكان حتى اهل القرية يعرفون جيدا عن خيالات زهرة وعن اطفالها الغير مرئيين، وحدثت تلك الحالة لزهرة بعد ان تركها زوجها وذهب يبحث عن امرأة قادرة ان تحبل وتنجب له الاولاد.

كانت تحكي لكل من تلتقي به عن ولديها، عن سفراتهم معا لزيارة الاقارب وعن خروجهم للنزهة في البساتين القريبة على قريتهم، وفي احد الايام وكانت تريد ان تتنسم بعض الهواء بين شجيرات النخيل المزدحمة

سمعت خطوات وئيدة تتعقبها، التفتت والقت نظرة خاطفة ورائها لم ترى شيء واكملت مسيرها، لكن الخطوات الساكنة بدأت من جديد وثم صوت من خلف احد النخلات جعلها تستدير على عقبيها لتجد ابنها المتخيل يبتسم ساخرا من خلف النخلة والطفلة شيماء كانت تقفز عبر الجدول الصغير وضفائرها تلعب على كتفيها وكذلك الشق في اطراف ثوبها، لم تستطع زهرة الصمود واقفة بعد، سكبت الدموع مدرارا وجلست على الارض واحتضنت الطفلين وبدأت تقبلهم وتشم رائحة اجسادهم، تارة تضحك وتارة تبكي بحرقة، ثم بدأت تلعب معهم تجري خلفهم مثل طفلة وتمثل انها تسقط لتزيد نوبات الضحك عند الطفلين كانت تلعب وتحلق مع شيماء وعلي مثل حمامة، قطفت لهم رمانتين، وثم تسلقت احدى النخلات وقطعت حبات الرطب، وقامت بغسل ملابسهم في ماء الجدول، ثم رفعت علي على كتفها ليلتقط ثمار التوت، ومشطت شعر شيماء، وصنعت لها ضفائر جميلة، كانت زهرة تبتسم، وثم فرح غامر اثلج صدرها، واختلطت عليها السعادة مع الدموع، وعند حلول المساء وعودها للمنزل اختفى الطفلين مباشرة عند

خروجها من البستان، كان نظراتها مشدود باتجاه النخيل والدموع تجري كالسواقي.

لم تذق زهرة طعم النوم في تلك الليلة، وفي صباح اليوم التالي لم تعد تتكلم مع رفيقاتها عن مهام الامومة ولا عن شقاوة علي وثوب شيماء الممزق، بل اصبحت ساكتة تنظر في الافق البعيد وتبتسم.

الصبي بلبول

بلبول، كان هذا اللقب الذي يعرف به الصبي حسن، الذي كان تربطه علاقة وطيدة وعجيبة مع كلب ابقع من كلاب الشوارع السائبة. كان يناهز الثانية عشر من العمر، لأبوين فقيرين جدا، ولثقل العوز والفاقة طمست معالم سنه، وشعاع الشمس اثقل على جسد الصبي وصبغ الشعر والبشرة بلون مبهم وسحنة غريبة توحي للناظر انه اكبر عمراً من كونه صبي.

وفي كل صباح يخرج بلبول مع كلبه الابقع، وكان يروح به ويغدو أمام ابوب المنازل، وكان كلباً مرهفاً قياساً بأقرانه من الكلاب السائبة، ويعود بذلك الفضل لصاحبه الذي يقتسم اللقمة معه، وكان سريع الحركة يمرق كالسهم في عمق الزقاق ثم لا يلبث ان يستدير بغتة ويقبل على بلبول الذي كان ينظر اليه بزهو فارس، هازاً ذيله بين اقدام صاحبه.

كنت اجلب له عظام وبقايا جلد الدجاجة، وكان بلبول يتلقف ما يراه من بقايا الطعام ويعطي للكلب نصفه ويبحث عن كيس أو ورقة على الارض ويدخر الباقي، معللا ذلك انه سوف يطعمه للكلب في المساء وفي احد الايام اتبعته إلى خلف البيوت كان بلبول يأكل النصف الاخر من بقايا الطعام، ولم يذخره بحجة عشاء للكلب.

وفي احد مساءات الصيف، رأيت بلبول هناك على الرصيف تحت احد مصابيح الشارع العام، منكس الرأس يبكي، وعويله بدى اشبه بنواح ثكلى، وقد ضم كلبه إلى صدره بقوة كأم تحتضن طفلها، وعندما اقتربت اكثر تبين ان الكلب قد دهس وخرجت أحشائه من خاصرته، كان بلبول يبكي بحرقة والم لا يعزيه شيء في الدنيا، عن فقده لرفيق حياته، كان المشهد اليماً موجعاً.

قلت له: قم يا بلبول واترك الكلب.

لم يجب واشتد بكائه وهو يذرف الدموع، ثم قال بصوت مخنوق دون ان يرفع راسه من جسد الكلب: كلبي مات.

وبعد ايام اصبح بلبول يسير في الشوارع ويتلفت حوله كمن ضاع منه شيء، وينظر للمارة بعينين جامدتين كعيون الكلاب الضالة واصبح جسده اكثر وهناً من ذي قبل وامتلأ وجهه بالتجاعيد وشاخ بطريقة غريبة ولم يلبث

شهر أو اكثر حتى وجدوه ميتاً على فراشه ونظراته جامدة مثل نظرات كلب يرتقب صاحبه.

كاظم الحمال

كان الحمال كاظم يعمل ساكتاً وينقل اكياس الطحين والعلف وحتى قضبان الحديد بصمت، مثل بغل، وبنمطية واحدة، عاكفا على هذا العمل في شارع العربنجية منذ طفولته. هادئ الطبع لين المزاج وقليل الكلام، لا يشارك اصحاب العربات صياحهم وعربدتهم، وكان ينئ بنفسه حين يتكلمون كثيرا ويطلقون الشتائم البذيئة ويبتعد إلى مكان اخر. كان صمته راجعا إلى مزاجه أو ربما كان من شدة العوز، حيث الحصار على البلد وحالة الركود التي جعلت من الرغيف يرتفع مثل النجوم ويبتعد عن ايادي الجائعين، لم يكن طويلا ولا قصير ولم يكن قوي البنية، اجعد الشعر واسمر الوجه، عيناه بلون القهوة الخفيفة، ترتسم فيهما نظرة خائفة وجلة.

كان له بيت صغير خلف معمل الاسمنت مع بعض المساكين من جامعي القمامة واصحاب عربات الحمير والفقراء المعدومين، بيت اشبه بالخربة، غرفة واحدة

واخـرى صـغيرة بحجـم قـن دجـاج تسـتخدم مطـبخ ومرحاض مكشوف، وله ولدين احمد الذي كان قد بلغ عقده الثاني وستار الذي ولد بقدمين مشوهين في السنة الثانية عشر من عمره.

كانـت زوجتـه رحيمـة نحيلـة القـد ذو وجـه مثلـث وشـعر كثيف وناعم، ينساب على كتفيها، مهما حاولت ترويضه تحت غطاء رأسها الذي لا يفارقا حتى عند النوم.

كانـت رحيمـة قـد فوضـت امرهـا إلـى الله والسـيد هـادي صـاحب القبـة الخضـراء، لـم تكـن تـرى المسـكينة ان ثـم مـلاذا غيـر ذلـك، كانـت الام التعسـة تعـرف جيـدا ان ابنهـا البكر اصبح رجلاً وحان الوقت لتزويجه وتعي جيدا ان الوقـت بـدأ ينفـذ ويجـب عليهمـا ان يجريـا عمليـة لأقـدام ابنهمـا المقعـد وكمـا قـال الطبيـب، ان التـأخير فـي اجـراء العملية سوف يعقد الامر ويقلل من نسبة نجاحها، وكانـت تـدرك ايضـا وبكـل جـلاء ان لا رجـاء لهـم ولا انصـلاح لحـالهم، فقـد كـان زوجهـا يعمـل مثـل حمـار مـن الصـباح حتى المساء من اجل لقمة العيش فقط واحيانا لا يحصل على نصفها، وكانـت الام تصـب جـل غضـبها علـى رأس زوجهـا وتقـول لنفسـها، هـو المسـؤول، كسـلان، غبـي، لا

يفكر، عديم الاحساس، اه يا مولاي يا سيد هادي اقبل قبتك الخضراء فأنت املي الوحيد.

الجميع كان يعتقد في الصمت الذي عقد لسان كاظم شيء من البلادة أو الغباء واحيانا يعتقد البعض غير مبال في وضع عائلته، لم يستطع الجميع فهم كاظم الحمال المسكين، حيث كان ثم بركان يشتعل في جوفه، والعذاب الاخرس الذي يعانيه ذلك الرجل الوديع، كان ينظر لقدمي ابنه ويتوجه فورا صوب قبة السيد هادي وقلبه يخفق بعذابه المستمر.

ومع ذلك بقى مواظبا على عمله المضنى وتتجلى له تعاسة اسرته مع كل شيء يقوم بحمله على كتفيه النحيلتين.

كثيرا ما كان يحلم كاظم الحمال ان يحصل على مال وتتنفس اسرته الصعداء وكان كما زوجته عاقدا الامل على بركة السيد هادي ولكن عندما يصمت ويتأمل يعرف جيدا ان لا جدوى من ذلك الامل ولكن كترياق أو جرعة من الصبر لا اكثر.

وفي احد الايام جاء احد الحمالين وجلس قبالة كاظم في مقهى العربنجية وكان يرتدي ملابس جديدة ويدخن سجائر مستوردة وعازما يتكلم مع صاحب عربة على

شراء عربة وحمار وقد بانت علامات البحبوحة على محياه، استغرب الجميع تغير احوال هذا الحمال فجأة وسارع كاظم لسؤال رفيقه وعرف ان الرجل قد عمل مع مهرب اسلحة، كان يعبر الحدود نحو السعودية يبيع السلاح ويرجع محملا بالريالات، وكان يشغل معه رجال يحملون السلاح ويقطعون الصحراء ليلا وينامون بين الاجمات والحفر نهارا.

وهكذا صارت فكرة العمل مع المهرب باب النجاة لعائلته والامل الوحيد في توفير المال اللازم لأجراء العملية لابنه المقعد، كان يفكر كثيرا في هذا الامر المخيف، ويبدأ يرتجف عندما يتخيل انه يسير في الصحراء ويقشعر من مجرد تخيل انه يحمل السلاح على كتفيه بدل شوالات الطحين، وقصص المهربين الذين ماتوا أو قتلوا يثير فيه الذعر.

اتخذ قراره في النهاية وطلب من زميله الحمال ان يتوسط له عند مهرب السلاح، وعقد الامل والمساعدة من السيد هادي ايضا.

كان يحلم انه حصل على مال كثير، واجرى لابنه المقعد العملية واصبح يجري مع الاطفال وفي السنة التالية سوف يزوج ابنه ويصلح من حال البيت ويضع

للمرحاض جدران من الطوب وباب جديدة بدل ذلك البرميل الصدئ، ثم عزى على نفسه اذا ما حدث مكروه فهذا يعد لمشيئة الله ومكتوب علينا.

نفذ كاظم ما قاله وذهب لمقابلة المهرب الريفي، وانضم إلى المجموعة التي سوف تحمل الاسلحة واتفق على المبلغ الذي سوف يحصل عليه وكان كافيا لتحقيق احلامه على اقل تقدير، وقبل الموعد المحدد من المهرب نظر كاظم لزوجته وأبنيه وقال: اتفقت مع المهرب وسوف ننطلق بعد اسبوع بأذن الله وبركة السيد هادي لنقطع الصحراء نحو السعودية وسكت.

نظرت اليه زوجته وابنه الكبير وارتسم الخوف على وجوههم. قال ابنه: لا تذهب يا أبي انها لشيء خطر. ثم بدأت الزوجة تذرف الدموع وتخنقها عبرة مكتومة وقالت: لماذا فعلت هذا يا كاظم، هل تريد ان يصبح ابنيك يتيمين، ماذا نفعل اذا لم تعد لنا لا سامح الله. تنهد كاظم ثم قال: كل شيء بيد الله، وليس لنا ان نقول غير ذلك، يجب ان نصبر. قالت الزوجة نائحة: يحرسك الله وبركات السيد هادي وتعود لنا سالما غانما.

مرت السبعة ايام كلمح البصر وجاء موعد الرحيل، وكانت ليلة من ليالي الربيع، لم يكن ثم قمر، كان الظلام

سـيد الموقـف، تجمـع الرجـال وبـدأ المهـرب بتوزيـع الاحمال وقال بعد ان صف الرجال على تخوم الصحراء: ايها الرجال كونوا حذرين واياكم ان تتفرقوا ولا تهدروا الماء، في الصحراء الماء هو الامل، وان افلت احدكم عن المجموعة وتاه في الصحراء فسوف لم يكن له من خلاص سوى الماء، ثم لوح بذراعيه مهددا، واياكم اهدار ما تحملون، الاشياء التي على ظهوركم كلفتني الملايين وان قام احدكم برمي حمولته لأي سبب كان سوف افجر رأسه. انطلق الجميع في ذلك الليل البهيم يسيرون كالبهائم خلف المهرب، ابتلعتهم الصحراء في جوفها وكان كاظم الحمال الوحيد بين افراد المجموعة يفكر ويتخيل ماذا يحدث لو لم يعد لأسرته، هل سوف تنجو زوجته وابنائه، ماذا لو حدث مكروه، ماذا يحدث لابنه المعاق ثم تمالك حواسه وامسك بحمله جيدا واخذ يخطو في ليل الصحراء الموغل، يسير بلا توقف، وفي عمق الصحراء كان الشر ماثلا امامهم، فقد اقتفى اثرهم شرطة الحدود، ودب الذعر في قلوب الرجال وتفرقوا لا يعرفون شرقهم من غربهم، وذهب كل رجل باتجاه، وكان كاظم يركض، ينكب على وجهه وثم ينهض ويعاود الركض، لا يرى شيء سوى وجه زوجته ولا يسمع الا

صوت ابنائه وليل يتبعه ليل وكاظم الحمال يركض في الصحراء مثل روح هائمة، مثل نجمة في ظلام الكون، ذهب كاظم ولم يعد ابدا، فقط روحه وبركات السيد هادي كانت العزاء لعائلته البائسة.

رحلة مع بائعة الخبز

(١)

(يمة، يمة، اكعد يمة عليوي راح يفوتنا اللوري).

اردت ان افتح عينيّ واحرر رموشي من لزج الرمد، مسحت بباطن كفي على عينيّ ونجحت بتحرير احدهما، واحدة تكفي لأنظر إلى وجه أمي المتلألئ في عتمة (الجرداغ) الطيني، فركت الثانية اكثر من مرة لتبدأ رموشي بخفقان لزج ومتكاسل. لا اعرف لماذا لم يذهب الرمد عن عينيّ، منذ اسابيع وأمي قالت سوف يذهب الرمد بعد ان شربت طاسة الماء وفيها طين من مرقد السيد أبو رواية، ليس هناك مرض يقف أمام هذا الدواء كما تقول أمي، (اشرب يمة من طينة ابن الكاظم)، شفاء لكل علة، حتى عندما سقطت في جدول الماء في الشتاء الفائت واصابتني سخونة قوية كان الطين دوائي الاوحد، لكن لا اعرف لما لا يستجيب ويخلصني من رمد عيني، دفعت (الأيزار) عن جسمي وتلمست فراشي خشية ان اكون

تبولت اثناء نومي ولم ينفع طين أبو رواية مع التبول ايضا، تلمست جيدا لم يكن هناك بلل أو رطوبة فرحت كثيرا وشكرت السيد وصحت بفخر كقائد منتصر أو محرر عظيم، (يمة يمة ما شخيت)، جاء الرد بصوت رخيم من اقصى الجرداغ، (ها يبعد روحي، عفية أنت صرت رجال)، بدأت احلق مع الكلمات اطير عاليا، صقر يمتلك الجو بأكمله، احوم بفخر وارفرف بجناحي كما اشاء. صاح ديكنا الابيض ذو العرف المائل، واجابه من بعيد ديك خالتي صبرية وثم تناها إلى مسامعي صياح ديك من بعيد قد لبى نداء رفاقه الاعداء، انا اكره ديكنا الابيض واتمنى دائما ان ارى رأسه والعرف المائل في طاسة المرق، بعد ان خسر المعركة مع ديك خالتي صبرية وجعلني اضحوكة لابنها الاعرج شمخي، نهضت وسرت مترنح احاول ازاحة عبء النعاس وثقل الرمد، فتحت باب الجرداغ، كان الصباح على وشك الانبلاج ونسائم الربيع تضرب الوجوه الناعسة لتدب فيها صحوة وانتعاش واخز تهتز له الابدان وتذهب بعباءة النحول والكسل وقد عبق الجو برائحة طلع النخل والندى المداف بالتراب وتسرب دخان تنور خالتي صبرية ورائحة

الخبز الاسمر، جاعل الامعاء في حرب مستعرة وانهار من اللعاب تركد خلف الشفاه.

(٢)

بدأت اخطو نحو الساقية أمام (الجرداغ) الطيني، وكان هناك خمسة أو ست كلاب منبطحة قد اعياها النباح طوال الليل، وبعض الغارات هنا وهناك، اما على كلاب ال عبد ونان أو خلف ارنب أو ابن أوه اراد سرقة دجاجة خلسة، رفع احدهم راسه بعد سماع خطواتي، هز ذيلة وعاود الانبطاح، نهض الابقع ونبح نحو اللاشيء وانبطح بجانب الكلبة وجروها الاسود، اخذت بكفي من ماء الساقية وغسلت وجهي وعيني من رمدهما وعاودت الكرة ثلاث مرات كما قالت امي، (اغسل وجهل ثلاث مرات وقول بسم الله والملك لله)، غسلت ثلاث وقلت بسم الله ونسيت الثانية، ثم قعدت على الارض وغسلت قدميي ايضا كان الماء بارد ومنعش. كان ثغاء اغنام ال أبو فريحة بدأ يقترب وصوت الجرس المعلق في رقبة الخروف أمام القطيع يرن في مشهد يتناغم مع نوبات سعال أبو فريحة ورائحة التبغ المنبعث من صدره المتخم بالدخان، وصوت تكسر الاغصان تحت وطأة اقدامه

الضخمة، وخوار بقرة خالي صالح وعجلها المربوط إلى النخلة يحاول الافلات نحو امه. رجعت نحو (الجرداغ) بعد ان ركلت الكلب الاسود الذي كان ينهش خاصرته بكسل، فز وهرب عاكفا ذيله بين قائمتيه الخلفيتين نحو شجرة الرمان. دلفت إلى داخل (الجرداغ) كانت أمي تضع الخبز داخل سلة من خوص النخيل، أمي تخبز كثيرا، هذا عمل امي تخبز الخبز لتبيعه، لو كان أبي حي لم نحتاج إلى بيع الخبز لكن أبي مات، قتل، قتله ابن عبد النبي، لا اعرف لماذا أبي لم يتجاهل فعلة ابن عبد النبي الكبير، الذي وجده والدي ينكح حمارتنا البيضاء خلف القصب، صرخ عليه ماذا تفعل يا ابن الكلب وتناول الفأس المركون على جذع النخلة، لم يعطي عذر مقبول جفات ابن عبد النبي، غير انه قال لقد نفذت لفافات التبغ وماذا عساي ان افعل بدون تدخين، ورفع سرواله القذر وابتعد عن مؤخرة الحمارة، كان قصير القامة، أسمر اللون، اشعث الرأس، وقد صبغ بالأوساخ من قمة رأسه إلى اخمص قدميه، ثم حاول الفرار نحو بيتهم وبدأ يركض ويصرخ للنجدة، استنجد بأخيه صاحب وابي كان يطارده بفأسه حتى تعثر جفات بمحراث عتيق وسقط على الارض ولم يتوانى أبي بضربه وشج راسه وقتله

على الفور، ورجع أبي حافي القدمين ويرتعش كالسعفة ويشتم جفات وكيف تجرأ على اختصاب حمارتنا البيضاء، ولا اعرف لماذا أبي بالغ في ذلك، ولم يمضي على مقتل جفات اكثر من خمسة اشهر وكان أبي قد هرب إلى اقارب لنا، رعاة اغنام في البادية، ولم يكن صاحب قد هجع عن البحث عن أبي ونار الثأر تغلي في عروقه ويصرخ أمام الجميع، دم جفات ما يضيع هدر وصكبان لازم يموت، بدأ يقتفي اثر أبي واخباره ويسال ويتقصى في كل ديرة وقرية وحتى في المدينة، كان ينام ويحلم ان يجد أبي ويقتله، وفي احد الليالي ونار الاشتياق اتقدت في قلب والدي وجاء متسلل الينا، كان صاحب له بالمرصاد وافرغ مسدسه في جسد والدي. مات جفات وابي وحكم على صاحب ال عبد النبي بالسجن المؤبد وولدت حمارتنا البيضاء جحش رمادي قذر مثل جفات. قعدت على الارض انظر لوجه امي المضيء؛ مع انعكاس ضوء الفانوس الخافت والوشوم الزرقاء اللامعة، وبريق عينيها الألقتين وخفقات رموشها السحابية، وكفيها المتعبتين من العجين والخبز، وضعت امامي طاسة فيها حليب وقرص من الخبز الاسمر وقالت بصوتها الرخيم، (هاك يبعد روحي اكل). لم يكن رغيف

خبز وطاسة من الحليب كانت مائدة سماوية تملأ روحي وجسدي سرورا وبهجة، أكل متجاهلا وخز النسيم البارد المتسلل من كوة (الجرداغ)، كل شيء مع امي يصبح له طعم وذوق مختلف حتى الاماكن برفقتها تبدو اجمل، أمي شمسي وقمري ونجومي. اكملت افطاري وهي اكملت وضع الخبز في السلة ولفه بقماش حتى لا يجف. الخبز هوة من يوفر لنا الخبز معادلة الحياة البائسة نبيع الخبز لناكل خبز، تجارة متكافئة وكما تقول أمي دائما (اسعى يا عبدي واعينك). انزعتني ثوبي واعطتني رداء قطني فضفاض ارتديه عندما نخرج فقط، تعتقد اني يجب ان البس ثوب نضيف عند الخروج حتى لا يقول الناس ابن صكبان يتيم، تنزعج كثيرا من كلمة يتيم، وتتشاجر مع أي مخلوق يقول عني يتيم وتبدا تبكي وتدمدم ابني ليس يتيم ابني رجال وابن رجال، ارتديت ثوبي لم يكن تحته ملابس داخلية لكنه يشعرني بالدفء والراحة ما دمت بجانب امي كل شيء جميل ومريح ايضا. انتعلت صندل بلاستيكي تغمرني ساعدة اثيرية كأني اقف على غيمة تجول بي حول العالم، اطير كريشة تتراقص مع الهواء، صندلي بساط سحري خفيف كالسحاب. فتحت باب (الجرداغ) الحديدي الذي صنعه لنا خالي صالح من

برميل عتيق وجريد سعف النخيل فانبعث الهواء الرطب الينا مع ضوء الفجر الباهت، فتحت امي صندوق الحديد الاسود واخرجت عباءتها وعصبت راسها بفوطة سوداء وجوارب سوداء ايضا وحملت سلة الخبز على رأسها ومسكت يدي وقالت (يلة يا بعد روحي).

(٣)

مسكت يدها المرهقة من العجن ودفئ اصابعها المقدسة وانطلقنا متوجهين نحو الشارع الترابي، الذي يحتاج إلى عشرون دقيقة سيرا حتى الوصول إلى النهر وثم العبور بالعبارة المصنوعة من ستة براميل ربط بعضها ببعض بحبال، نركب ثم نسحب السلك المربوط بين الضفتين حتى نصل إلى شريعة سيد حسن ونكمل مسيرنا عشر دقائق اضافية حتى نصل الشارع الترابي حيث تتنظر قدوم (اللوري).

انطلقنا نسير في ارض جدي المزروعة بالحنطة وهسيس سنابلها متمايلة كراقصة بالي، تلوي بأعناقها تحريبا واكبارا لأمي، بدأت اتقدم المسير أمام أمي، بصفتي الرجل، الفاتح العتيد، اسير والسواقي تنحسر مياهها امامي، اقفز واخطو على انغام البلابل واهازيج العصافير.

اسير متقدما أمي ببعض خطوات لكن تتناهى إلى سمعي انفاسها ولهاثها وثقل صرة الخبز الثقيلة عل رأسها، قلت لها من غير ان التفت: (يمة اريد بخصم وجاي من جاسمية من نوصل المحطة)، ردت عليّ لاهثة(ابشر يا بعد روحي). واصلنا مسيرنا عبر الحقل ذو السنابل المثقلة بالحبوب الناضجة امرر يدي عليها، ثم اشارات تسري في جسدي لألفة بيني وبين الخضرة والنبات، دعابات لا تنتهي مع طيور الحجل تطير امامي، وحديثي مع القبرة وعدم رضوخها اما مقلاعي المعلق في رقبتي. انتهى حقل جدي واقبلنا على بستان ال مطشر، تراجعت القهقري وامسكت يد امي وبدأ الخوف ينسل إلى جسدي، الكل يعرف ان ثم فتاة قتلت ودفنت في هذا البستان، نظرت لي أمي مبتسمة، اعرف ابتسامتها عندما تعلم اني خائف، لكن قصة رحاب المقتولة تجثم على صدري، قتلت ظلما، كل اهل القرية يعتقدون ان اخوتها الثلاثة قتلوها ظلما، قالوا انها اصبحت حامل، وبدأ بطنها يكبر وينتفخ، حتى رأتها أمها وهي تستحم، وبدأ تصرخ وتلطم على وجهها وتبكي، ماذا فعلتي، وصاحت اخوتها واخبرتهم ان اختهم حبلى وهي لم تتزوج وتطلب منهم قتلها ودفن عارها تحت الارض والى الابد، بدا اخوتها

ينهالون عليها بالضرب ويصرخون من، من هذا الذي وضع رؤوسنا في الطين، اعترفي وقولي من، لكن رحاب تصرخ مستغيثة انها بريئة ولم يقترب منها احد ولا تعرف كيف بدأت بطنها تكبر وتنتفخ، لم يصدقها احد وثم اشار عليهم احد اعمامهم ان يأخذوها إلى ام ام غايب القابلة العجوز ليتأكدوا، وعاينتها ام غايب وقالت البنت على سماد امها، البنت بعدها بنية، لكن لم ينفع هذا كان الاخوة ينظرون إلى بطن اختهم المنتفخ وتشتعل نيران الغيض وتحشيد ام رحاب على بنتها وتشجعهم على طم عارهم حتى اخذوها إلى بستان ال مطشر وانهالوا عليها بخناجرهم حتى اخرجوا احشائها ودفنوها هناك، واستقبلتهم أمهم ملوحة بخرقة بيضاء وتصرخ (اصبع خايس كصيناه)

(٤)

دفنت رحاب المسكينة واصبحت سماد لنخيل بستان ال مطشر، ترقد بسلام، سالت امي اين رحاب الان. قالت: (بالجنة يبعد روحي). خرجنا من البستان متجاوزين سياجه المرصوص بالسعف وتركنا خلفنا رحاب وانين الفواخت، وصلنا إلى نهر، وكانت العبارة في الضفة

الاخرى، علينا الان ان ننتظر احد العابرين، وضعت امي حملها من الخبز على الارض وقعدت وقالت لي (اقعد وليدي هسة ربك يسهل، ويعبر ابن حلال). قعدت على الارض وانتزعت مقلاعي من رقبتي وبدأت اقذف الحجارة نحو القصب المتمايل، واحيانا نحو العبارة في الضفة الاخرى كأني اشن حربا عليها، لم لا تأتي وحدها حتى نستطيع العبور ولا نتأخر ويفوتنا (اللوري) الوحيد المتجه نحو المدينة.

بعد دقائق جاء رجل يحمل مسحاة على كتفه وركب العبارة متجه نحونا، فزت امي واقفة وحملت صرتها من الخبز على رأسها وامسكت بيدي تنتظر وصول العبارة، صعد الرجل وبدأ يسحب السلك والعبارة تطفو متجهة نحونا، وصل ونزل وركبنا نحن وضعت امي صرتها على ظهر البراميل واقعدتني بجانبها وبدات تسحب السلك واقفة لا تهاب الماء. اتمنى دائما لو كان أبي من يقف هنا بدل أمي، أبي بكوفيته البيضاء وحزامه الجلدي المتشقق، يسحب السلك بقوة وتشق العبارة الماء اسرع وانا اقف بجانبه واسحب السلك معه، أمي لا تسمح لي بالوقوف على البراميل تخشى ان اسقط بالماء واغرق.

وصلنا الضفة الاخرة وربطنا العبارة بالوتد الحديدي واكملنا سيرنا نحو الشارع الترابي، قلت لأمي قبل ان نصل الشارع اعطيني المائة فلس اجرة التوصيلة انا الرجل وانا الذي ادفق، اخرجت الكيس القماشي المعلق في رقبتها ويتدلى تحت ردائها الاسود واخرجت المائة فلس وقالت: (هاك يبعد روحي).

وصلنا الشارع الترابي وقفت امي منتصبة وصرتها فوق راسها وتضم يدي بيدها وانا انظر لوجهها الابيض وحاجبيها المتصلين وعينيها المضيئتين ينظران نحو الشرق لقدوم (اللوري)، وانا انظر معها واسافر بعيدا في خيالي، كرجل فضاء يجوب الكواكب والعوالم، المجرات البعيدة، عوالم رحبة تضيئها النجوم.

(٥)

بدأنا نسمع جلبة (اللوري) من بعيد جاء يعدو كحصان هرم، وجعجعة الغبار المتطاير خلفه يختلط مع دخانه الاسود. اشير بكلتا يدي وأقفز مسرورا بقدومه، تسلقت درجاته الحديدية ودلفت داخل (اللوري) ومن خلفي امي وصرتها المحشوة بأقراص الخبز، تحوم بنظرها كالرادار ليلتقط مقعدا فارغا بين المقاعد الخلفية حيث تجلس

النساء، جلست أمي على مقعد فارغ بين امرأتين، وانا اتربع جاعلا من حجرها سفينة تبحر محيطات العالم الواسعة وبحاره السحرية، ربان سفينة منتصر، يستريح وسط جزيرة من عالم خيالي.

على يمين أمي تجلس امرأة عجوز، تضع على حجرها سلة من الخوص يتوسطا ديك بالوان زاهية وعرف احمر قان منتصب، ينظر قد احنى عنقه نحو الاسفل، فثم دجاجة سوداء تربض عند اقدام العجوز، وبجانبها بطة بيضاء كبيرة. وعلى يسارها امرأة قد غلبها النعاس واخذت تغفو وتحلم بالوصول.

قفزت عن حجر أمي وذهبت نحو السائق اترنح متكئ على الكراسي، احيانا اسقط وانهض ثانيا مع تمايل (اللوري) واهتزازه مع تعرجات ومطبات الشارع الترابي الملتوي كأفعى وسط البساتين وحقول الحنطة. وصلت عند السائق البدين ذو الوجه المتهدل والشوارب الكثة واعطيته المائة فلس ورجعت احث الخطى مترنح كالمخمور نحو أمي التي تبتسم دائما مشرقة كالشمس.

رجعت إلى مكاني في احضان أمي وكانت تكلم المرأة على اليمين وتسألها عن وجهتها، قالت المرأة العجوز وكأنها تريد ان تبوح لأمي بسر ما، دنت اكثر وبدأت

تهمس لأمي، (انا ذاهبة لأبيع البطة والديك والدجاجة حتى اوفر ثمن السبوح للعلوية، اريدها ان تكتب حرز لولدي، وتفك عنه عقدته، كما قالت لي العرافة التي تجلس في حضرة أبو رواية، ان اسماعيل ولدي قد عقد ولم يستطيع الاقتراب من زوجته بسبب عمل سحري، والمسكين منذ ثلاث اشهر من زواجه لم يستطيع الاقتراب لزوجته، ويقول انا اراها كنعجة واحيانا اتان سوداء والبنت تبكي المسكينة وتندب حظها وانا الطم على وجهي وعلى حظ ابني العاثر ولا اعرف من هي الشيطانة التي عملت هذا العمل لأبني المسكين).

صاح السائق بصوته الاجش (محطة) وكررها رجل يرتدي كوفية وعقال، صاحت أمي (نازل نازل).

(٦)

نزلنا انا وأمي وتوجهنا نحو مكاننا المعتاد على رصيف المحطة بجانب احد المقاعد الخشبية. فرشت أمي خرقة احضرتها معها ووضعت سلة الخبز وقعدنا خلفها نتدفأ بأشعة الشمس الخجولة.

امتلأت المحطة بالرجال، ونساء واطفال، وجنود منهكين بوجوه يائسة ينتظرون قدوم قطار البصرة، وانا انظر

لحشود الناس تجوب المكان بغير هدى، ولا ابالي بشيء، مع امي، مع تلك الروح النقية والصباح البهيج وانسام الربيع، كانت سعادتي لا توصف. جاء رجل قصير بوجه منمش يرتدي دشادشة فضفاضة وطلب اربع اقراص من الخبز، اعطه أمي الخبز وانا تلقفت الدرهم من يده، قبلته ووضعته على جبيني كما قالتي أمي وقلت: استفتاح خير ان شاء الله. واليد تربت على كتفي: (خلي عينك على الصرة يمة ولتكشف الخبز رايحة اجيبلك بغصم وجاي). لا، لا تتركيني يا أمي وتعلقت بذيل عباءتها يجذبني عطر (بخور الشايب)، كن رجل يا ولدي: ردت وهي تختفي بين الحشود وتتركني مع وحدتي والصرة. بدت عيناي تبحث وتنقب في الوجوه على ذلك البياض، عن قمة افريست، عن الوشم اسفل الذقن، عن النقاط الزرقاء السماوية. انظر وانظر بين الحشود اين امي، لا اريد الحلوى ولا الكعك اريد روحي الذي فارقتني. بدأ البرد يتسلل إلى جسدي كالأفاعي ينسل ببرود في عظامي، حتى العصافير تبدو اسراب من الخفافيش السوداء، والهواء يضرب وجهي بحدة كنشارة زجاج، بدأ المكان يضيق بي وحشود الناس اصبحت كالموتى وعونهم جحضت والقاطرات تبدو لي عربات

جنائزية تطلق النواح بدل الصفير، وعيناي غرقت بالدموع حتى تبللت ياقتي على انغام نحيبي المكتوم والعبرات المدفونة عميقا في صدري، ويداي تبدو ملوثة ومعروقة تهتز مع نظراتي التي تصدم في اللاشيء لتعود خائبة مكسورة، نظرات مترددة خائفة مرعوبة تطوف الارجاء متوسلة تريد روية محبوب طال انتظاره. لم تهملني دموعي وانهمرت بقوة، اكثر وحشية وتحطم انيني خلف شفتي المزمومين ولتنفجر اساريري بصرخة عنيفة مثل استيقاظ من حلم مرعب أو كابوس مفزع رهيب وصحت (يمة يمة) فصاحت من خلفي (ها يا بعد روحي).

ثلاث لطخات من الدم

اصطفق باب المنزل الحديدي بعد صرير مزعج كصوت طير جارح، خرجت الام وزوجها. اضطربت ابتسام عند تفكيرها في الدخول إلى المنزل، وكان جل خوفها الذي تعتني اليه بإرادتها، ليس الا مرآة بيضوية قذرة فوق المغسلة.

جلست ابتسام على ركبتيها وثم كالساجدة للصلاة تنظر من تحت باب غرفتها الخربة، غرفة صغيرة مستطيلة، جوها خانق، وجدرانها عارية من الطابوق المتآكل لا تتعدى حجم قن دجاج، وكوة صغيرة،

فوق الباب الخشبي حالك اللون، تنفذ منها اشعة الشمس لتنتهي على ارضية ترابية تغطيها بطانية قذرة مهترئة الاطراف. القن الخرب خالي من أي زينة سوى ما على الجدران من لطخات دماء متيبسة، وما يبدو ان الاصبع الذي وضع تلك البصمات بعناية وعلى شكل ثلاث لطخات متقاربة، وبالمئات، بصمات اصابع ملطخة بالدم

تملأ الجدران من الاسفل للأعلى وبالألوان تبدو مختلفة بسبب اختلاف الزمن بينها، هناك بصمات تبدو سوداء واخرى بلون بني مائل للاحمرار وبعضها من كان حديث وبلون احمر قان.

رفعت رأسها بعد نظرة من تحت الباب الخشبي واخذت تهرش فروة رأسها السوداء المجعدة واليد الاخرى انسلت إلى ما بين فخذيها واخذت تمسح بصمات جديدة من الدم على الجدران، واحدة، اثنان، ثلاث.

هكذا هو عالمها، كما تريد رويته، تاريخ حافل بالدم، جدران مزركشة بالأحمر، احمر باهت، احمر محترق حد السواد، احمر متيبس، والثلاث لطخات الجديدة، تلطخ وجه العالم كل شهر.

استقامت واقفة، جسدها ملتف بثوب طويل ازرق، مطرز عند الاكمام بزهور صغيرة صفراء وحمراء. تهيئت للخروج من غرفتها قاصدة البيت. تخرج الأم والزوج حتى تنطلق ابتسام نحو المنزل، الذي حرم عليها دخوله بسبب عادة المسح بدماء الدورة الشهرية على الجدران. التقطت من الارض مشط اسود سقطت بعض اسنانه، وباليد الاخرى، اليد اليسرى، دفعت باب الغرفة وخرجت إلى باحة الدار، تعي جيدا ان الابواب مغلقة وما من منفذ

للبيت، كما يعتقد الزوجينام ابتسام وزوجها ذو الشوارب الكثة، حيث تزوجت خديجة بعد استشهاد والد ابتسام في الحرب العراقية الايرانية، استشهد رزاق بطريقة غريبة اواخر ايام الحرب، حيث وجد في اخدود، شق في الارض، بفعل اندفاع سيول الامطار واصبح على شكل هلالي اشبه بفرج امرأة. وجد رزاق داخل الاخدود عاري بدون ملابس وثم جندي ايراني عاري الجسد ايضا، وقد تعاركا بالسلاح الابيض حتى اجهز احدهما على الاخر بثلاث طعنات. في يوم جاء خديجة الطلق ازهقت روح رزاق وجيء به بصندوق خشبي على ظهر سيارة كراون، ملفوف بالعلم العراقي، ابصرت النور ابتسام بغرابة كما ابيها، حيث كان لها ثلاث اصابع في كل يد وثلاث في كل قدم، وثلاث شقوق في شفتها العلوية وثلاث اثداء وكان يحيط فمها ثلاث خطوط من التجاعيد العميقة الهلالية، فم مشقوق بثلاث ومحبوس بثلاث، وكانت زاويتي الفم غير متساويتين ايضا، حيث عندما تنظر إلى وجهها من جهة صدغها الايمن تجدها تبتسم ومن الجهة الاخرى ترى وجه خائف ومرعوب. خرجت ابتسام إلى باحة الدار وثم حاولت فتح باب الشارع المنزل الحديدي، لكن، عبثا تحاول، الباب مغلق بمزلاج

حديدي من الخارج، ارخت يدها حتى سقط المشط ومسحت ما بين فخذيها وبصمت على الباب ثلاث لطخات من الدم، ثم حملت قضيب معدني كان مركون عند الباب وبدا تضرب الباب الحديدي، على وتيرة واحدة، ثلاث ضربات متتالية وتعيد الكرة، حتى سمع احد المارة ودفع المزلاج عن الباب، لتخرج ابتسام إلى الشارع وتنطلق نحو الصبية حيث يلعبون، وهم بدورهم تركوا لعبهم واحاطوا ابتسام من كل جهة، خلعت ثوبها وسط هلهلة الجمع من الاطفال والمراهقين وتكورت على الارض عارية تمسح بأصابعها وترسم على جسدها العاري بصمات الدم الثلاث. بدأ الصبية والاطفال بجمع الحجارة المتناثرة على طول الشارع، وبإشارة من اطولهم انطلق وابل من الحجارة نحو الجسد العاري المتكور في الشارع، اطلق احدهم حجارتين اخطأت واحدة واصابتها الاخرى واطفأت عينها، استمر احتفال الرجم، وابتسام تتلوى مثل دودة مصابة، تارة تبتسم وتارة تنظر بوجع عابس مرعوب، انطلق حجر كبير واصاب الضحية بالرأس واسقطها على الفور، دون ان تتمكن من الصراخ، لكنها حاولت مع اخر رمق ان تمسح ثلاث لطخات من الدم.

عبثية

ماتت نشمية الحفّافة للأسف بعد تناولها كمية كبيرة من الطين خاوة، وبعد تشريح جثتها وجدوه متحجرا على شكل طفل يمص ابهامه. ماتت المسكينة بعد ثلاثة عقود من الوحدة، وبدأت لعنةٌ عجيبة تصيب القرية بعد هذا المصاب الذي ادى بجيرانها وأهل القرية إلى الاكتئاب.

بعد اسبوع قام الشيخ بخنق نفسه بكوفيته البيضاء، خنق نفسه بطريقة غريبة غير مألوفة تماما!

شنق نفسه بالمقلوب راساً على عقب، لف طرف الكوفية حول رقبته وربط الطرف الاخر بقطعة حديد كبيرة قذف بها إلى البئر بعد ان ثبت قدميه بحبل على الشجرة المجاورة للبئر، بعد سحب الجثة برقبتها الطويلة وتركها في العراء حتى تنشف من البلل، تعثر رجلٌ عابر سبيل اثناء سيره ليلاً بذلك الجسد المسجى وضرب راسه بحجر ومات على الفور ! مسكين، لم يكن الاخير، بدأت الحوادث تترى على القرية، انفجر بطن فتاة كانت تواعد

شاباً خلسة خلف جامع القرية لتفيض احشاؤها المكان. كان مظهرها مقززاً، ما كانت لتبدو كسيدة تنام وسط كوم من الافاعي الرطبة، اصبحت القرية على ريب من امرها وسر الحوادث المروعة التي لاحقت الأهالي، حتى عللوا الأسباب وأعزوها لكثرة الذنوب والتهاون في الصلاة، على أن الحريق الذي شب فجأة في جسد أمام الجامع قد قلب موازين الامور. ذهبت كل الافكار ادراج الرياح، كان الرجل زاهداً ومثالاً على الاستقامة والتدين، الا ان الحاج (جخيور) مات دون سببٍ يُذكر، مات وحسب، فيما ادمن ابن حميد السيد على لعق جدران البيوت حتى اصابه التسمم وبدا وجهه شاحباً يهذي باستمرار حتى مات ولسانه خارج فمه، وقد تمزق بسبب خشونة الطوب وجدران الطين. كذلك انتاب الجنون الأب المسكين فما عاد يعي ما يفعل وفي ساعة من هياج قتل نصف اطفال القرية حتى عاجله احدهم بفأس شجّ له راسه، للأسف لم ينج من القرية سوى فتاة صغيرة ذات عينين طاهرتين جميلتين فيما تحتضن لعبتها اليتيمة.

تميمة

كنت في الثانية عشر، اقضي جل وقتي في اللعب وحدي، ولا اهتم لمن هم في سني وذلك ان لعبهم يقتصر القفز والجري وانا بقدم معطوبة لا تفي بالغرض، اعوض عن ذلك بأشياء لا تحتاج إلى جهد بدني أو تنتهي بعراك اكون انا الخاسر لا محال. والحقيقة كنت افوقهم ادراكا وفطنة واراهم ثلة من الحمقى تسيل من انوفهم السوائل ويتلعثمون بالكلام، حمقى اقوياء فقط. اذهب للشارع الرئيسي حيث انظر واتأمل حركة الناس والسيارات، واحيانا اذهب عند نهاية الشارع الذي ينبع من عمق الريف القصي مروراً بناحية (السوير) وينتهي بالقرب من حيّنا حيث اسكن.

يبدا تدفق الناس صباحا من شتى القرى والقصبات والنواحي قاصدين السوق للتبضع أو بيع شيء من محاصيلهم الزراعية أو حيواناتهم أو لعيادة طبيب وهكذا على هذه الشاكلة كل صباح تجلبهم سيارات الـ(بيك

اب)، ويترجلون نساء ورجال، شباب وكهول وعجائز وهلم جرة كل يوم.

توقفت سيارة (بيك اب) حمراء متكاسلة في وسط الشارع حيث اقف أمام المقهى الصغير اجمع سدادات قناني البيبسي المعدنية، يقودها رجل اشيب لا يفتأ عن الثرثرة مع الركاب في قمرة السيارة وصوته الجهوري غطى على جلبة المقهى الصغيرة المكتظة. ترجلت امرأة كانت جالسة في حوض السيارة الـ(بيك اب)، هكذا بحركة رشيقة ومتناسقة بدون ان تعلق عباءتها، وبذات الخفة التقطت طفلها ذو الثلاث سنين من حوض السيارة ال (بيك اب) الحمراء المتكاسلة إلى كتفها، وبطريقة لا ارادية قبض بكفيه الصغيرتين برأس المرأة، وبدا مرعوب من ضجيج الناس والسيارات، ينظر لكل شيء لم يعتد على رؤيته بعينين خائفتين بنيتين فتحهما على وسعهما في مساحة وجهه الضيقة كثعلب صغير يخرج من وكره لأول مرة. وثم ايضا بيدها الاخرى التقطت كيس ابيض مصنوع من شوال طحين فارغ له مقبضين من قماش ازرق ورسم عليه هيئة عصفور على ما اعتقد ولم يتبقى من جسده المشوه سوى الرأس والمنقار والذيل فقط.

التفت نحوها جذبني صوت بكاء الطفل الخائف، وثم يتحول نظري إلى الكيس، كان هناك شق في احد اطرافه المهترئة لمحت شيء يتدلى من الشق على وشك السقوط، طويت اصابعي مصطنعا منظارا ونظرت للشيء المتدلي من الكيس الابيض، كانت محفظة نقود (جزلان) احمر بنقاط سوداء لماعة، احببت ان اتأكد ان ليس هناك غشاوة على عدسة منظاري ومسحته بكمي واعدت النظر من خلاله لأتأكد انها محفظة على وشك السقوط.

توقفت المرأة متهيئة لعبور الشارع متجهة نحو السوق، وانا اتخذت قراري ولا رجعة عن اللحاق بها وانتظار سقوط المحفظة، عبرت المرأة الشارع حتى كادت شاحنة كبيرة ان تجعلها وطفلها الثعلبي عجينة من اللحم والدم ولكنها كانت رشيقة ووثبت إلى الرصيف، لتلاحقها شتائم سائق الشاحنة وكلماته البذيئة.

لم تخفف المرأة من سرعة سيرها حتى وصلت بناية التجنيد القديم المهجورة، هناك توقفت وانا خلفها اسير لاهث بخطى عرجاء ولكن مشحونة بأحلام اليقظة، بدأت احلم بسقوط المحفظة، وكيف اجدها مليئة بالدراهم، واشتري قنينة البيبسي والبسكويت المحشو بالكاكاو المطبوع على غلافه صورة فتى افريقي، واشتري كيس من

الكرات الزجاجية، لكن ماذا اقول لأمي، من اين حصلت بالدراهم، وبدأت اكثر انشغالا في ايجاد عذر مقبول.
فتحت المرة الكيس أمام بناية التجنيد القديم، وقلبي يعتصر من شدة الهلع، اخشى ان تجد المحفظة وتكتشف الشق في الكيس، استلت من الكيس رغيف خبز وحملت كيسها وعاودت المسير على الوتيرة نفسها.
تنفست الصعداء وانطلقت خلفها، كنت اتصورها فريسة وانا الصياد، كما في الافلام، بندقية وحقيبة ملقاتين على كتف الصياد ويقتفي اثر ذئبة جريحة، لكن في واقعي كان العكس تماما، صياد جريح وذئبة في اوج عطاها وقوتها، لكنها تسير في ارضي وانا اصطاد فيها، لتكن قوية سوف اتغلب على قوتها بذكائي، أبي يقول لي دائما أنت ذكي والله يأخذ من الانسان شيء ويعطيه شيء اخر، لكن هنا في هذا السباق ليس للذكاء أي قيمة. هنا احتاج القوة والتحمل لمجاراة تلك الفرس الجموح.
كانت تأخذ قطع صغيرة من رغيف الخبز وتلقم صغيرها الثعلبي، يلوك طعامه بصبر لا ينفذ وعيناه البنيتان يمسحان المنطقة بتوجس شديد فوق كتف المرأة. دخلنا شارع مركز سجن الخناق، وزادت المرأة من وتيرة سيرها، وخطواتها بدأت اوسع، والمحفظة اللعينة تأبى

السقوط، وانا بدأت اشعر بالتعب واتصبب عرقا في صباح تموز الحار، كنت اضغط بيدي اليسرى على ساقي المشلولة لأمنعها من الانثناء اثناء السير السريع والمرهق، عند رؤيتي لرجال الشرطة أمام باب السجن ببدلاتهم الزيتونية، تلاشت احلامي وبدا الخوف يتسلل إلى روحي، صوبت نظري على الكيس والمحفظة بعناد، نعم بعناد، يجب ان اثبت اني قادر على فعل كل شيء، انا افعل ما يفعله الصبية، انا لا اختلف عنهم، ولا افكر بقدمي ابدا.

بدأت المرأة بعبور جسر المشاة الخشبي، لم يسبق اني عبرت هذا الجسر بمفردي ابدا، ماذا لو علم والدي اني وصلت إلى هذا المكان سوف يبرحني ضربا، امي ايضا سوف تعض يدي حتى تتلاقى اسنانها أو تضع السكين على النار وتضعها على يدي كما فعلتها عندما شتمت السيد، ليكن، لم اترك المرأة والمحفظة ابدا، اجتزنا الجسر، وسمعت قرقرة من احشائي كنت مرهق جدا وجائع، لم اذق لقمة طعام منذ ان شربت طاسة الحليب الصغيرة. دخلت المرأة السوق المسقوف، وهذا في حد ذاته تحدي كبير، السوق محتشد بالناس، رجال، نساء، جنود منهكين، وباعة يصرخون معلنين عن بضاعتهم

واسعارها، وكنت كل ما اغشاه ان تضيع المرأة عن ناظري مع النسوة المتشحات بالسواد، كنت انظر إلى اعلى الرؤوس، اركز على رأس الطفل الثعلبي، هو العلامة الوحيدة، في خضم هذا الجوق من الاصوات وتدفق حشود الناس. عاودت احلام اليقظة إلى رأسي، واصناف الحلويات واللعب، ماذا لو كانت المحفظة ممتلئة بالدنانير، ماذا افعل، واين اخبئها، ماذا لو كان مع النقود قطعة ذهبية، قرط أو قلادة، سوف اقول لأمي اني وجدتها على الارض، نعم، سوف اقول هذا، ايقظني من احلامي طفل اخرق صاح خلفي: اعرج، اعرج، ثم ارتطم راسي بمؤخرة امرأة لتلتفت لي وتقول بصوت خفيض: شبيك اثول. صاح رجل عجوز يقعد على الارض: من مال الله. واخر يصيح: احمر وحلو، احمر وحلو، الرقي، يصيح وينظر نحو امرأتين حاسرات عن شعرهن البرتقالي، ادهشني المنظر، امرأة تضع الالوان على وجهها وتسير بدون عباءة وشعرها مصبوغ وظاهر للعيان، ودخلن إلى باب مكتوب في اعلاه حمام الفرات. تذكرت حينها قصة امي عن النسوة السبعة (التايهات) كما تقول، جائن للسماوة ولم يعرف احد اين ذهبن، لكن صوت

بائع الرقي داهمني بقوله لرفيقه: شفت الكاوليات. عرفت آنذاك ان المرأتين من الكاولية (الغجر).

تركت كل شيء وعاودت اللحاق بطريدتي، كانت تشرب الماء من الحِب (الكوز)، وتحركت على نفس الوتيرة والسرعة حيث بدأت مسيرها.

خرجنا من السوق المسقوف، بدأ التعب يأخذ مأخذه مني وقدمي المشلولة اصبحت ثقيلة كمرساة سفينة اجرها وانا منهك وخائر القوى، لا اعرف متى تسقط المحفظة، واين، ما تلك اللعنة التي جاءت بي إلى هنا، هل انا لص وضيع إلى هذا الحد، لماذا، كانت امي تعطيني كل يوم درهم، لكن لا يكفي لشراء قنينة بيبسي وبسكويت الفتى الافريقي، فكرت وفكرت، يجب ان اتصرف، هذه المرأة لا تتعب وليس لها نية ان تتوقف، عليّ ان اقترب من الكيس اكثر، واسحب المحفظة بيدي، نعم، يجب علي فعل ذلك، حتى لا يذهب تعبي وثمن ما سوف الاقيه من والديّ بسبب تأخري كل هذا الوقت، سوف اسحب المحفظة.

انعطفت المرأة إلى اليمين، واصبحت المسافة بيني وبين الكيس امتار قليلة، وانا اجاهد واضغط على قدمي المعطوبة التي يحسدني عليها الجندي ابن ام هادي، يقول

لي حين يجدني العب في الشارع: هنيئا لك، اتمنى ان اكون اعرج مثلك ولا اذهب للحرب والموت. اقتربت من الكيس اكثر وفجأة توقف المرأة أمام بناية بيضاء مكتوب في الاعلى على قطعة خشب بيضاء مربعة (الرعاية الاجتماعية)، ثم التفت إلى يسارها وتحركت بضع خطوات لتقف مجددا أمام (كاتب العرائض) وقالت بصوت ضعيف خرج من فمها: (اريد اسجل). وكانت الفرصة مؤاتيه، وانشغالها مع كاتب العرائض اعطاني فرصة للاقتراب من الكيس. رد عليها رجل العرائض: هل أنت مطلقة؟. ردت: لا، زوجة شهيد. واكتسب وجهها فجأة ملامح سيدة عجوز. نظرت للطفل الثعلبي المرتاب وسحبت المحفظة من الكيس بسرعة، مرة واحدة بدون أي تأخير، ثم عدت ادراجي للخلف وتواريت خلف البناية البيضاء، فتحت المحفظة على عجل وانا التقط انفاسي بصعوبة بعد مطاردة طويلة ومرهقة، كانت المحفظة فارغة لا تحوي سوى تميمة مغلفة بجلد اسود كالتي تضعها امي في رقبتي عندما امرض، وخرقة صغيرة خضراء.

حلم رجل ميت

استعدت وعيي على صوت بكاء خفيض، لامرأة تجلس بجانب سرير يرقد عليه ثلث طفل، عجيب امر هذا الطفل المسكين الذي لم يتبقى منه سوى الجزء العلوي، والانابيب التي تخترق الحلق كانت من يمده بالحياة التي هي عبارة عن نفس فقط، كانت المرأة تتمتم بكلمات من القرآن والولولة تختلط مع دموعها وحركت رأسها المطوحة اليائسة، حينها ادركت اني في مستشفى. التفت للناحية الاخرى، حيث السرير بجانب النافذة، ثم رجال، كانوا ثلاثة والرابع يرقد على السرير ويلطم على وجهه، ولغط يملئ المكان بسبب انهم يتكلمون جميعا مع الرجل اللاطم مرة واحدة، كأنهم يحاولون اقناعه بشيء ما، حتى اشتد الغضب بأحدهم ورمى بعقاله على الارض وداس عليه بأقدامه. وعلى السرير المجاور لسريري ثم فتاة فقدت بصرها ويديها، وكانت تضحك، لم ارى من وجهها الملفوف بالشاش والقطن سوى الفم الذي يوحي

بانها تبتسم، والمرأة الثقيلة التي تحاول تثبيت غطاء الرأس للفتاة بطريقة تحاول معها اخفاء خصلات الشعر الصفراء اللزجة من بقايا الدم. كانت رائحة الدم والمطهرات تملئ المكان، اضافة إلى رائحة البراز التي تخرج من بطن الرجل اللاطم عن طريق انبوب إلى كيس بلاستيكي قد اخفاه تحت البطانية التي يرفعها وينظر تحتها كل دقيقة وتعقب تلك النظرة التي تشي برعب كبير وتليها تنهيد وحسرة تجرح الفؤاد.

في صباح اليوم التالي استيقظت على صوت بكاء الفتاة العمياء، الضاحكة، لكن بعد ان ركزت جيدا تبين انها فقدت جزء من انفها وشفتها العلوية بالكامل ايضا، وكانت التكشيرة ليس ضحك ولا ابتسامة انما اسنان عارية، ثم فجأة سمعت شخير آت من ناحية سرير الطفل حيث سلم ثلث الروح الباقي وذهب مع بقايا جسده المقطع على ارصفة الكرادة. بعد ايام قليلة عرفت ان جاري اللاطم فقد جهازه التناسلي بالكامل وعندما حدثني وكان يتكلم بخليط من الاسى والكدر: علينا ان نموت، الموت ارحم، لا احتمل هذا الوضع ابدا وأنت كذلك عليك ان تموت. حينها اجبته: اموت ماذا تريد ان تقول، ما قصدك بهذه العبارة. قلت وانا يغمرني الامل

وكنت اعول على عودة صحتي وشفاء جروحي لكي اخرج من هذا الهم الثقيل: لا اريد الموت ثم عائلة تنتظرني. التفت لي وسبقته حشرجة وبكاء خفيف وقال: كما تشاء يا اخي. يقال والعهدة على القائل ان الرجل الباكي حلق واخذ يدور حول بناية المستشفى قبل ان يسقط ويتهشم راسه، القى بنفسه من النافذة، المسكين ابى على نفسه ان يكمل حياته على هذا النحو، مثل جندي اعزل...

هذا ما حكاه لي الرجل الذي جاء به ابنائه لدائرة التقاعد ولا اعرف كيف حملوه هكذا بلا اطراف، وترك ذكرى في رأسي عصية على النسيان، تطلعت إلى عينيه الفضيتين المطفأتين، كان المسكين يحلم بالطيران.

تحول

حدث وأن تحول رجل إلى تيس !، تيس بالغ بقرنين معقوفين إلى الامام، هكذا مرة واحدة، كان الرجل جالس يتناول طعام الغداء مع زوجته واطفاله حيث تحول الرجل. في بادئ الامر انشقت هامته وخرج قرنان ونميا سريعا، والغريب في الامر ان الاولاد والزوجة لم يبدر منهم أي تفاعل واندهاش كما تتوقعون، على العكس بدأ الصغيران بتعليق العابهما وقطع الملابس بطرف القرنين. وبعد دقائق بدأ يشتر ما تناوله قبل قليل من لقيمات، كانت زوجته تتابع حركة الفكين والتناوب النصف دائري في سحق الطعام، كانت تحاول تقليده وتضحك. بدأ صوته يتحول إلى شيء اشبه بالصراخ منه إلى الثغاء، مثل صراخ رجل في اقبية السجون، وظهر له حوافر بدل الاصابع، والشعر الاسود اخذ بالنمو سريعا، كما اخذ يدور خلف زوجته ويشم في اثرها، حتى اقتادته من اذنيه الطويلتين إلى باحة الدار حيث تركته هناك. بعد يوم أو

يـومين رن هـاتف الزوجـة ثـم اعقبـت الاتصـال بصـرخة مدوية اهتزت لها اركـان المنزل. لقـد اخبروهـا ان والـدتها تحولـت إلـى انثى شـمبانزي. كمـا تحـول أبـو حميـد الجـار العجـوز إلـى ببغـاء هكـذا المسـكين ومـع اول محاولـة طيران، كانت له المروحة بالمرصاد وشجت رأسه واردته قتـيلا. بـدأ التحـول يعـم ارجـاء المكـان والنـاس تتحـول واحدا بعد الاخر، اصبحوا خيول وابقار وحمير ودجاج وحتـى اسـماك فـي احجـام مختلفـة والـبعض مـنهم كـان مختلط براس خنزير وجسد طائر، ومنهم من تحول إلى حشرة، فقط هم الاطفال من اصبحوا فراشات ملونة.

النجمة صفية

ولدت صفية بعمود فقري مقوس، لكن اجتمع المعارف والاهل على تسميتها بصفية الحدباء، كانت ولادتها عسيرة جدا، وكادت ان تقضي على حياة أمها حين عسر خروج جسدها الملتوي.

كانت فتاة نحيلة، حنطية البشرة، وظهر محدودب، وشعرها الاسود كالفحم كان غزيرا وينساب على الكتفين حتى الخصر، والعينين خائفتين على الدوام، التين كانتا تنظران إلى هذا العالم كما تنظر الثعالب المتوجسة، عينان وجلتان ومدهوشتان. كانت صفية حبيسة الدار على طول النهار، عكس البنات في سنها حيث بلغت ربيعها الرابع عشر، ولكنها قد استبدلت الليل بالنهار، اصبحت لا تخشى شيء في هذا العالم اكثر من كلمة حدباء، فانكفئت على نفسها واصبحت تخشى الخروج، وتجاهد ايضا وتتضرع إلى الله ان لا تسمع هذه الكلمة من احد افراد عائلتها.

كانت صفية تتفتح مثل زهرة الشبو الليلية، فقد كانت تعشق اليل والنجوم، كانت أم صفية ترى فيها فتاة مختلفة عن الاخريات وكانت دائما ما تعنفها، وتجرح مشاعرها بكلمات حادة كالسكين، مثل، خائبة، معاقة، المشؤمة، وغيرها من الالقاب البذيئة وكلمات الذم، كانت صفية تعمل جاهدة لإرضاء أمها وتتحمل كل كلماتها، خشية ان تغضب الأم اكثر وتصرخ فيها بكلمة حدباء، وعندما لم يكن هناك عمل تقضيه ويبدا ضوء النهار بالاختباء ويرخي الليل سدوله كانت تصعد إلى سطح المنزل، وتسند ظهرها لخزان الماء الحديدي وتنظر نحو السماء، كانت تعرف مواقع النجوم جيدا وتعرف تحركات بعضها، وكانت تسرح مع القمر بخيلاء العاشقين وكانت لها علاقة خاصة معه وعشق لا يضاهيه عشق على الارض، كانت تفكر احيانا وتتساءل عن سبب ولادتها بهذه النقيصة، وتبكي بكاء حارا، ولكنها بالرغم من ذلك كانت تعشق الحياة، وعالمها الليلي. كانت صفية تسمع همسات النجوم وعزف الكواكب وتبدا تدندن وتغني، واحيانا ترقص حين يكتمل القمر ويكون بدرا، كانت تكلم كل الاشياء، والاشياء بدورها تحدثها، كانت تصغي إلى جميع الاصوات، حتى حركة النسيم. في احد ليالي الربيع

كانت صفية متوهجة مثل نجمة، واستيقظت بعد حلم جميل، لقد رأت القمر في منامها ينزل معها على السطح ويرقصان سويا على انغام ومعزوفات رقيقة تنزل من السماء، على ايقاع ملائكي، كانت صفية متألقة وينبعث من جسدها عطر فواح، وبدى وجهها متوهجا كفلقة قمر، ارتدت ثوب خفيف وصعدت إلى السطح، وكانت السماء على غير العادة وقد اجتمعت النجوم لتصنع هالة كبيرة من الضوء اللماع حول القمر، كانت العلياء في عرس، وصفية بدأت ترقص، ونسمات حلمية تنساب تحت ثوبها، وتنعش روحها، وبدى جسدها اكثر توهجا مثل مرآة، وهيمن على روحها فرح غامر، كانت ترقص وتضحك، والقمر طوق خصرها بكفيه، وضمها إلى صدره واخذا يرقصان، وكذلك النجوم بدأت تدور حولهما مثل اقداح يحملها الهواء، مترعة بالرحيق والنور، واقبلت اسراب من الملائكة ترفرف بأجنحة اثيرية، وعيون صفية كانت مترعة بالدهشة، وجسدها الملتهب في احضان القمر العاشق، في تالف ساحر، ثم انزع عنها ثوبها الخفيف، لينبثق من ظهرها المقوس جناحين كبيرين واخذت تدور وتحلق مع القمر، ، وتنثر بريق نورها على

سطح المنزل، وتمضي نحو السماء في قداس عرسها النجمي لتستقر هناك إلى جانب عشيقها.

اصغر غريق في العالم

كان يومها نهر الفرات طافحاً، وعند مرور أي قارب تبدا امواج تتسابق نحو الجرف ثم لا تلبث الا ان تتبدد وتختفي بعد ان تتقيأ علب فارغة وعوالق كثيرة من الاكياس واعواد الشجر. وعند حلول الفجر وضوء النهار بدأ يبسط ضياءه، مر قارب مسرع وتسابقت الامواج لتحمل معها جثة غريق وتلقي به بين الاغصان والطحالب، كانت لطفل حديث الولادة لم يتجاوز عمرة الشهر وكان ملفوف برداء ابيض، غير الماء والوحل من لونه، وقمط جيدا بقماط اخضر اللون، لم يتحلل جسده ولم يتشوه، وهكذا امر يثير عند سكان القشلة اضطراباً، حيث تطل بيوتهم على ضفاف النهر وكان لهم خبرة في انتشال الغرقى، ولكن لم يصادفهم يوم من الايام غريق كهذا وفي هكذا عمر، وسرعان ما يعلم الجميع بالنبأ، ويبدأ توافدهم رجال ونساء إلى جرف نهر الفرات.

التف الناس حول الجثة يحدوهم الفضول والقلق، وخيم عليهم حزن شديد، ولغرابة الموقف بدأ خيال اهل القشلة يشطح بعيدا، والتفكير في سبب غرق هذا الطفل المسكين ومن اين اتى، فبدأ الحاضرين من خلال تخيلاتهم ان ينسجوا قصص عن ام زانية القت به أو كان السبب لمعتوه اراد ان يثأر من اهل الطفل أو أب ذهب عقله والقى به في لج هذا اليم، وهلم جرة، كل شخص اصبح له رؤيا خاصة، حتى قال احد الحاضرين منبها الجمع على تلك الرائحة الزكية التي تنبعث من جسد الطفل المسجى على الارض، وحين جاء المختار افسح له الجميع، فمضى متقدما بنظرات حذرة، تفحص الجثة وشم ذلك العطر الذي تأكد الجميع انه من ذلك الجسد، نظر المختار للجميع بنفاذ صبر وحمل الغريق الصغير وقرر الاحتفاظ به حتى يتبين عن امره، وفي الوم التالي انجلت السماء من الغيوم وبدت ناصعة الزرقة، والنسيم هب رطباً وبارداً، وفي الليل توقف اهل الحي على الباب المختار حيث كانت الروائح والعطور المنبثقة من جسد الغريق تملئ الحي، خليط غريب من الروائح الجميلة، وحمل الهواء أريج الياسمين والرازقي، ورائحة الخزامى والبنفسج البري، وفي الصباح تجثم الطيور المغردة على

شرفات منزل المختار وعصافير الدوري والفراشات تدور حوله، وطالب اهل القشلة ان يبيت الغريق في بيوتهم ايضا، وذهبوا بشكواهم إلى الحاج مجلي حسون، حيث كان للرجل احترام وقبول لدى الجميع، وكان رجل طيب الخلق ويفعل الخير على الدوام، فرض الحاج مجلي على المختار ان يدور الغريق على كل بيوتات الحي، وكان اول من جاء عليه الدور بيت الحاجة ام خزعل وقامت الامرأة الطيبة بتغير لفافة الطفل بأخرى نظيفة، وهكذا مع كل بيت يدخله الطفل الغريق يتم تغير قماطه، وقامت احداهن بتعليق بعض الخرز والتمائم، واخرى علقت حرز بجيب جلدي على ثوبه، وقام احد اصحاب المحال هناك بابتياع مهد كبير من خشب الصاج، وفي يوم جاء الدور عند الحاج مجلي في اخذ الغريق الصغير إلى بيته حيث كان يعيش وحيداً، وضع الحناء لكفيّ الطفل وقرأ له القرآن وفي الصباح حين جاء احد الرجال الذي كان دوره وجد الحاج مجلي ميت على فراشه والطفل الرضيع غير موجود.

معجزات أمي

كتابة هذا الكلام مفسدة ورذيلة، اثم عظيم، والجميع سوف يقول عني مهرطق؛ اثر تلك الكلمات المحرمة، وانا اعلم يقينا انها خطيئة، خطيئة البوح وليس الفعل، ولم اكذب حين اتكلم، واقول ما شهدته على مدار اربع عقود، نعم، انا رأيت كل شيء. كان لأمي معجزات كما الانبياء، معجزات خارقة للطبيعة، تعلم كل شيء، وتفعل ايضا كل شيء، واحيانا تفعل كما الخيميائيون القدماء، وتحول التراب من حالته الاعتيادية إلى شتى الانواع المختلفة. عندما يذهب أبي للحرب كانت، تعلم جيدا في أي وقت سوف يأتي، أو بات جائعا، أو تعرضت وحدته إلى هجوم، تعرف جيدا من يطرق الباب دون ان تنظر، ومن منا من سرق حبة طماطم في ظهيرة بائسة أو اكل سهم غيره من قطعة الجبن. هكذا هي تعلم كل شيء. وكانت تضع الدراهم بجانب صرة صغيرة من قماش اخضر، فيها تراب جلبته من ضريح السيد ابن الكاظم،

وكان يمثل لنا العلاج السحري لجميع انواع الامراض، وحتى الجروح والكسور التي تسببها المشاجرات مع الاطفال واللعب بالشوارع. في سن العاشرة بدا يظهر انتفاخ في اسفل بطني، في منطقة العانة، قال أبي هذا فتق في ستارة البطن يحتاج إلى عملية، ابتسمت امي ابتسامة مقوسة توشي بسخرية عظيمة مكبوتة في صدرها، جلبت طاسة ماء وضعت فيها قليل من تراب السيد وقالت اشرب، شربت وهكذا راح الانتفاخ في اليوم الثاني، وبدأت تتفاخر أمام الجميع وتنظر اليهم نظرة تعالي منتشيه، ترفع دشداشتي البازة، وتريهم كيف فعل تراب السيد فعلته العجيبة مع الانتفاخ، حتى عندما انجبت اخوتي الصغار، كانت حين يأتيها المخاض، تضع من ذلك التراب في الماء وتغسل وجهها ثم تدخل للغرفة وتغلقها وتبدا تصرخ وحيدة مثل ذئبة جريحة، بدون حقن ولا مغذيات ولا أي شيء، حتى أبي ينتظر في باحة الدار ويدخن بطريقة اسرع من المعتاد، بعدها دقائق تفتح باب الغرفة وتطلب منا جلب شفرة موس حلاقة وتقطع الحبل السري. ولم تتوقف معجزاتها عن الامراض والجروح فقط، انها امرأة تعشق الطين، صنعت لنا تنور من طين، وعندما كسرت قدم دجاجتنا البيضاء وضعت امي لها

لفافة من الطنين واعواد التبن، وعندما بدأت اذهب للنهر مع الاطفال قالت اياك ان يدفعك احدهم وتغرق ثم اعطتني جرعة من التراب على لساني وانطلقت ولم يستطيع النهر اغراقي، تعلمت السباحة مع اول غطسه، وفي احد الايام جاءت جارتنا ام خيرية تطلب العون من امي، كان زوجها الحداد اوشك على طلاقها، الرجل يريد ان تنجب له ذكر، حيث فشلت تلك المخلوقة الثقيلة عن الاتيان بذكر مع بناتها الخمس، قالت لها امي: لا عليك، انتظري. وكما توقعت كانت الطاسة والتراب هي الفيصل، اشربي يا ام خيرية، شربت المرأة الثقيلة وعينها تذرف الدموع، وبعدها انجبت ثلاث ذكور استشهد اثنان منهم والثالث يعمل حمال في سوق العتالين. لازم امي ذلك التالف الغريب مع الطين والتراب، وبدت اكثر ثقة مع وصفتها الاعجازية، اصبحت اذ ما كان هناك شيء يستوجب التدخل أو الاصلاح تبادر على الفور وبدون أي نقاش، فتح الصرة الخضراء واخراج ترابها السحري، عطل تلفاز مثلا، ثلاجة، بقرة توقف حليبها، امرأة عاقر، ولد عاق لوالديه، باب مكسورة، قفل عُجز عن فتحه. وفي احد الايام، كان صباحا عاديا، ونسيت الديكة الصياح، لتعلن بزوغ الفجر، صاحت امي بدلا عن ديكة

العالم، اثر الم شديد في خاصرتها، هرعت لجلب الطاسة وصرة التراب، وبعدها ارتفع الضغط وداهمها السكري، شربت الكثير من الماء المقدس واكياس من تراب المراقد، انطوى ضهرها بسبب هروب غضروف من بين الفقرات وبدأت لا ترى طريقها، وتجلس في ركن الغرفة مثل نبي خاصمته السماء.

من صندوق الذكريات

اتذكر جيدا. اقسم لكم اني اتذكر، كنت في السادسة من عمري، وذهبت مع أمي لزيارة احد اولياء الله، اتذكر جيدا حين طلبت من القيم هناك ان يقودني نحو الإمام، ويدعو لي بالشفاء. (الله ينطيك العافية ما تكودة) وكانت تنظر نحو القيم باستجداء. التفت اليها الرجل صاحب الطربوش الاحمر والعباءة السوداء: (ما به). قالت امي وكادت ان تبكي: (انه اعرج). رد بعد نظرة فاحصة نحوي (لماذا). قالت: (ساقه مشلولة). كنت انظر إلى وجه الرجل وقرأت ماذا يدور في خلده، اراد ان يقول لها اذهبي يا امرأة لكن سيول الدموع بدأت تنهمر وقوافل من كلمات التوسل حالت دون ذلك. اخذ بيدي وتوجه نحو الضريح يسير بطريقة حازمة وسريعة. اقسم لكم كنت اسمع حديث يموء في صدره، عكس كلمات الدعاء التي تنطلق من لسانه بسرعة وكيف ما اتفق. كان يقول، شلل،

لو كانت ثؤلولة، أو رفسة حمار، لو عضة كلب، أو لثغة في النطق لكن شلل...

استدار بعد ان قذف كلمات الدعاء كصليه من الرصاص وصاح خذي ولدك. كانت علامات الفرح والرضا ارتسمت على وجه امي الرطب بسبب الدموع، اقتادتني ودخلنا للضريح اخذنا ندور حوله وامطرناه بالقبل والصلوات. اخذت امي نوبة بكاء ثانية وانا ملها تمسك بالشباك الذهبي كما تفعل النسور حين تقبض على صيدها وتغرز مخالبا بقوة، كانت تهز الشباك وكأنها تأمره، لكن بطريقة اكثر توقيرا واستعطاء. عند خروجنا إلى الصحن وسط الحشود من الزائرين اشارة امرأة جالسة على الارض نحو امي، لم تكن عجوز ولا شابة لكنها كانت بين الحالتين، تكلمت مع امي بطريقة العارفة: (ابنك سوف يشفى ويكون له شأن عظيم، وعليك نذر قديم ورثتيه عن امك يجب تسديده). ناولتها امي قطعة المائة فلس المعدنية وعدنا ادراجنا. لم تشفى ساقي ولم اكن ذو شأن عظيم، لكن في صدري علبة من الذكريات وقلب محطم.

حميدة دنبك

كانت عاهرة نخبوية، اغلب زبانها من الرتب وشخصيات رفيعة المستوى، كانت جميلة إلى حد الدهشة ولها قوام متناسق وسحنة خلابة، اضافة إلى ذلك كان يخشاها جميع اهل الحي، وذلك لأمرين، الاول ان لها معارف كثر في الحكومة، والثاني لأنها سليطة اللسان وتقذف الكلمات والسباب كالرصاص. اطلق عليها اهل الحي لقب دنبك لأنها تسمع الاغاني من جهاز المسجل على طول النهار. كانت تسكن مع والدها العجوز الهرم، لم تكن صغيرة، كانت ثلاثينية متوهجة. حمدية دنبك لا تتورع عن فعل أي شيء في سبيل المال، حتى القي القبض عليها مع طبيب شاب عارية داخل المصعد، اثناء زيارتها لقريبة ترقد هناك.

في حرب التحرير كما يطلق عليها الامريكان، والاحتلال كما يقول البعثيون، وسقوط الطاغية هكذا احب اهل الجنوب والوسط تسميتها، كانت طائرات التحالف تمطر

الشعب بكوكتيل من القنابل والمتفجرات، وهروب الناس من المدن نحو الريف، أمام الاخبار التي انتشرت عن دخول جيوش التحالف بدبابات كبيرة تسحق المدن، كنت في البيت وحدي بعد هروب عائلتي إلى اقاربهم في اقصى الريف، كان الوقت بعيد الغروب وكان الجو خانق وعاصفة ترابية بدأت تجتاح الوطن، حين سمعت طرق على باب المنزل، كانت حمدية دنبك تقف مرعوبة تطرق الباب مثل صبي اخرق، كانت خائفة جدا.

- انا خائفة، اصوات الانفجارات تقترب، والعجوز نام وانا مرعوبة. قالت هذا ودخلت دون ان اسمح لها بالدخول كنت على وشك البدء بالشرب، لقد حصلت على قنينة ويسكي كاملة، حين اقتحم بعض الشباب احد البارات، كان يقودهم شيخ يصرخ مثل مجنون، وتم تحطيم البار بكامله.

جلست على الارض، وسط الصالة حيث كانت قنينة الويسكي المزدانة برسم ذهبي لفارس شاهرا سيفه، وبالقرب من القنينة كان ثم خيارتين ورغيف خبز اسمر، وعلبة سجائري.

كانت ترتدي ثوب ازرق مزركش من الاعلى بفراشات صفراء، ومن الاسفل انتصبت زهور حمراء مخططة على سيقان خضراء على شكل صفوف طويلة.
قعدت قبالتها امامنا الشراب والخيارتين، كنت انظر لوجهها الخائف، كانت ثم خطوط من الكحل قد سالت من طرف عيناها اثر الدموع، وزادت من جمال وجهها المرتاع.
- جيوش التحالف دخلت الناصرية، سمعت ذلك من سائق التكسي، هل سوف يصلون السماوة هذه الليلة.
قالت حمدية وازاحت العباءة عن جسدها بالكامل.
- لا اعتقد ذلك ثم مقاومة سوف تصدهم عن التقدم أو تبطئ من تحركهم، قلت وبدأت انظر خلسة لجسدها البض والمتناسق.
سألتني عن عملي في التدريس وتبين انها كانت ترتاد الجامعة كلية الآداب في بغداد، لكنها لم تكمل الدراسة.
وبدأت اسقيها من الشراب، على جرعات صغيرة، وحين بدأت تنتشي وضرب الويسكي في راسها بدأت تتكلم بطريقة غريبة، بدأت تبكي وتسرد بسرعة، قالت:
- العجوز ليس ابي، كنت اعيش مع امي ولي اختين، اتمنى رؤيتهن الان، كان لي اخ ايضا كان يكبرني بسنتين،

كان عمري وقتذاك واحد وعشرين، وكنت ادرس مرحلة ثانية كلية الآداب قسم اللغة العربية، كان لأخي رفاق مشبوهين، وكان أبي ضعيف الشخصية لا يستطيع السيطرة على تصرفاته، جاءت الشرطة لبيتنا عدة مرات وكانت امي تسرق المال من والدي وتعطيه كان يشتري بالمال حبوب هلوسة واحيانا يأتي منتصف الليل مخمورا. في احد الايام كنت قد رجعت من الجامعة بعد ان احسست بدوار في راسي ولم استطع اكمال المحاضرات كانت الساعة العاشرة صباحا واختي في المدرسة وابي في دكانه، ولم اجد امي ايضا، دخلت لغرفتي واستلقيت على السرير ولم تكن الا لحظات حتى هجم عليّ اخي، كان ينظر لي مثل المخبول وعينيه طافحة وحمراء كأنها تنزف دماً، حاولت صده لكنه ضربني على رأسي، حاولت الهرب مجددا، عاجلني بركلة وبدأن اترنح ثم سقطت على الارض، ثم ارتمى فوقي على أطرافه الاربع مثل ذئب، يلهث، عاضا بأسنانه على شفته السفلى، يحاول اجباري على الهدوء وحين لم ينجح بدأ يضرب على راسي بقبضة يده حتى فقدت الوعي، لقد كان وحش حقير، صم اذنيه عن صراخي وتوسلاتي واغمض عينيه عن رؤيا دموعي، حين جاءت

اختي الصغيرة وجدتني عارية ممددة في ارض الغرفة وثم دماء قد لطخت جسدي من الاسفل، واثار العراك والضرب على جسدي كله، عاد لي الوعي حين سمعت زعيق امي، فتحت عيني المثقلة بالألم ورحت ارفع يدي طالبة عناق امي، لكنها بصقت في وجهي وقالت بدون رحمة ماذا فعلتي يا عاهرة هذا جزاء الاحسان والتربية، وبدأ تسب خالتي ولا اعرف ما دخلها في الموضوع، وحين جاء أبي وعرف من امي ما حدث بدا يتوعد اخي بالقتل وبدا يتفوه بكلمات غريبة.

- كيف يفعل هذا اللعين السكير، الا يخاف الله بالمسكينة.

وفي اليوم التالي جاءت خالتي ولطمت وجهها حين علمت بمصيبتي، وتبين انها كانت امي وانا ابنتها الغير شرعية وكانت امي ليس امي كانت خالتي ثم امرتني بجمع ملابسي واخذتني لبيتها في مدينة بعيدة عن بغداد وثم بدأ زوجها يغتصبني على الدوام حتى علمت بذلك وطردتني خارج البيت، ولم اكن وقتها اعرف ما افعل واين اذهب بدأت اسير في الشوارع والازقة تحدوني الدموع والهواجس المرعبة، جاءت سيارة شرطة اخذوني خلف البيوت وضاجعوني وثم انزلوني حتى تلقفني

شـخص اخـر واخـر حتـى وجـدت ذلـك الرجـل العجـوز وجاء بي إلى بيته. ثم توقفت فجأة عـن الحديث، وبـدأت تنظـر نحـو السـقف ثـم سـألتني عـن رغبتـي بمضـاجعتها، رفضـت ذلـك، وكنـت متـأثر جـدا. لفـت جسـدها بالعبـاءة وخرجت من البيت كان الفجر قد بدا ينشر ضياءه، وحين طلعـت الشـمس كانـت اول طلائـع الصـواريخ قـد حطـت برحالهـا فـي بيـت حميـدة دنبـك واخـذت غمامـة الـدخان والنهار بجسدها المنهك بعيدا، بعيدا نحو السماء.

تناسخ الفراشات

المرة الأولى التي رأيت فيها فاطمة كانت بعمر السنة تقريبا، حين خرجت تحبو على اربع من باب الدار، ثم تلقفتها اختها الكبيرة بسرعة لترجعها إلى البيت. بعد عقد من السنين بدأت الاقاويل تنتشر عن فاطمة في كل ارجاء الحي، يُشاع انها تهب من نومها هلعةً مذعورة بعينين جاحظتين تكادان تقفزان من محجريهما، فتسترسل بسرد احاديث وحكايات شتى عن شخصيات واماكن غريبة بالغة الغرابة وغير مفهومة تماما، ما أقلق والديها واصابهما بالإحباط، وما عادت جهودهما تفيد بعد ان عجز الاطباء عن معالجة هذا الامر المحيّر. لم تنفع معها كل العقاقير والمهدئات، وحتى المشعوذين الذي ابتلعوا رزما من الاموال لإخراج المس من رأسها كما يدعون، عجزوا عن شفائها فلا تعاويذ وآيات ولا اشعال انواع البخور رفقة الترانيم، مع الضرب بالخيزران أتت بنتائج

ملموسة، فاستسلموا صاغرين من أن ثمة عفريت قد فرّ من عوالم خيالية ليسكن رأسها الصغير.
ولجهل الوالدين وقسوتهما عزلا البنت في غرفة في الطابق الثاني من الدار، لتقبع وحيدة مع هلوساتها وكلماتها الغريبة.
بدأ الفضول على اشده يموء في صدري مثل قط حشر في خزانة، لمعرفة احوال فاطمة المسكينة.
في احد الايام جلس بجانبي والدها الذي حضر مناسبة زواج احد شباب الحي، لم اتوان في سؤاله عن احوالها، وبصفتي استاذ جامعي، قلت إن لي زملاء كثر مختصين في علم النفس والامراض العقلية وانا مستعد للمساعدة لأنقل لهم حالة فاطمة، وعلى ما يبدو كان الأب يسعى للتعلق بأي قشة أمل.
تم الاتفاق على موعد زيارتي للبنت الجمعة اللاحقة.
فتح والدها باب الغرفة الحديد، فصرّ صريرا يذكّر بأبواب السجون وقال دون النظر لي: تفضل استاذ.
كان هواء الغرفة يعج بالروائح الغريبة، فللوهلة الاولى بدأت اشم روائح اطعمة فاسدة ثم ما لبثت ان تحولت إلى رائحة الفراش العطن والاغطية البالية المرمية في ركن الغرفة. انتبهت إلى عرج بسيط في قدم فاطمة اثناء

سيرها وكانت تستعين بجدار الغرفة، متمتمة بكلمات غريبة، لم افهمها. وجهها الذابل المتغضن تحت شحوب تغمره ندبٌ بسبب الاهمال. تجاعيد مبكرة بدت على بشرة وجهها بلونٍ بني موغلة الجفاف. جسدٌ يرتجف كما لو ان ريحاً باردة تعصف به من الداخل.

وقع نظري على كلمتين انتشرتا على جدران الغرفة بحروف غريبة، ميزت لغتها لكن تعذّر عليّ معناهما. كلمتان باللغة الروسية(Спаси мен!) بعد البحث عن معنى التعبير تبين انها تعني (انقذني).

بدا الامر مفزعا لي وغريبا. كانت فاطمة تتكلم اللغة نفسها ايضا وتبين لي انها تنطقها بطلاقة ما زاد من حيرتي، لكني عقدت العزم على كشف ملابسات حال الفتاة ومن اين جاءت باللغة الروسية وانا اعرف ابويها، من الناس البسطاء لم يحصل أي منهما على شهادة اكاديمية بل هما شبه أميين. تفحصت حاسوبي مرة ثانية وكتبت (من أنت ومن اين تعلمتي اللغة الروسية، عليك ان تحكي لي الحقيقة وتكتبي لي على هذه الورقة كي اتمكن من انقاذك). سرعان ما ترجمتها للروسية ونسختها بورقة وذهبت لفاطمة. دخلت عليها، كانت في احد

الاركان ترتعش وبدات اكثر ذبولاً وانطفأ بريق عينيها بعدها خيّم عليهما يأسٌ ثقيل.

مددتُ يدي بالورقة لتلتقطها مني دون تردد، وما ان رأت ما دونته بدأت تنظر لي وفتحت عينيها على سعتهما مبتسمة وأومأت لي براسها بالموافقة. اعطيتها ورقتين وقلم ومسدت على رأسها بحنو، وعلى الفور صارت تكتب باللغة الروسية نفسها وبخط واضح لشخص يجيد الكتابة، اعتلتني قشعريرة لغرابة ما ارى وبدأ قلبي يخفق كضبي مذعور، وانا انظر لفاطمة فيما هي منكبّة على الورقة تكتب ودموعها تنهمر وتتوقف احيانا لتسترجع انفاسها، وهناك عبرة تحاول الفرار من صدرها فتصدها بشفتيها المزمومين وتعاود الكتابة على انغام نحيب مكتوم في غياهب مظلمة. اعطتني الورقة ونظرة الرجاء تلاحقني وانا اخرج من الغرفة وكلمة (انقذني) بالروسية سمعتها رطبة مبللة بالدموع. بدأت اترجم ما كتبت وكانت المفاجأة:

"سيدي المحترم. اسمي: (تاتيانا) ابنة قيصر روسيا نيكولاس الثاني. هجم علينا جنود لينين في ليلة سوداء كقاع بئر مظلم، وكخفافيش متعطشة للدماء، امتلأت الدنيا بالصراخ والموت وتخضبت الارض بثوب احمر

قانٍ. خرجت وشقيقتي (اوليغا) والخادم (شيليخوف) من باب القصر الخلفي. بدانا نركض يحاصرنا الخوف والبرد من كل جانب والرعب ينسل إلى اجسادنا كالأفاعي والهواء يضرب وجوهنا الناعمة كنشارة زجاج حادة، واقداما توغل في الثلج اكثر فاكثر، وبدأت اصوات الجنود المطاردين تقترب ونحن بين الركض والسقوط والارتطام بالأشجار، ثم سقط (شيليخوف) برصاصة اصابته في خاصرته، وبدات (اوليغا) ترتجف اكثر وتنتحب بصوت مرتفع، والبرد ينخر العظام، وبين الحين والآخر تئز رصاصات فوق رؤوسنا، وجنود لينين لم يتوانوا عن مطاردتنا، وقد تحالفوا مع الشيطان على قتلنا. سقطت (اوليغا) برصاصة ايضا واخرى في راسي وطعم البارود في حلقى ولا اعلم بعدها شيئاً الا وانا احبو على اربع بين عائلة غريبة لا اعرف ما يقولون منذ خمسة عشر عاماً.

غرفة الصراخ

هل سمع احدكم من قبل عن (غرفة الصراخ)؟!.
بعض البشر يعمل أي شيء في سبيل كسب المال، اكل الخبز. احيانا ينقلب إلى حيوان مفترس، والبعض يفعل أي شيء حتى وأن كان غير معقول ومقبول. كنت اجلس قبالة الماء، انظر جريان النهر واتأمل وجه الماء ينساب بهدوء وطمأنينة. جاء رجل غريب لم اره من قبل، كهل ذو جسد نحيف، قصير وذو وجه مثلث وشاحب، يلبس بنطلون جينز باهت اللون وقميص ابيض مخطط. جلس بجانبي على ضفة النهر، يحمل بيده قصبة لصيد السمك، سلم وبدأ على الفور بوضع الطعم بالصنارة ورما بها إلى الماء. بادر بالسؤال بدون ان ينظر ناحيتي: ماذا تعمل ؟. اردت ان لا ارد على هذا الرجل الغريب في البداية، ولكن لا ظير في دردشة عابرة. قلت بدون ان التفت ايضا: سائق تكسي.

ابتسم مكشر عن اسنان نخرة ومتباعدة عن بعضها. اشعل سيجارة واسترسل في كلامه: نعم، انا عملت سائق تكسي في شبابي، عمل جيد، مسلي. اخرج الصنارة من الماء وكانت فارغة من الطعم، وضع جرادة ميتة مكان الطعم ورما بها إلى الماء وعاود الحديث: انا عملت في كل شيء تقريبا، لم ادع مهنة أو صنعة الا واشتغلت عليها، حتى بعض الاعمال كانت من اختراع مخيلتي، ولم يفعلها غيري. اخرجت سيجارة من علبة كانت ملقاة امامي وقدمتها له وسالت: ماذا تعني بمهنة غريبة. اشعل السيجارة واخذ يمجها بطريقة مضحكة كأنه لم يدخن قط. ثم بدأ يتحدث بعد ان اعياه السعال: نعم غريبة، هل سمعت من قبل بـ(غرفة الصراخ). لا لم اسمع قط عن هكذا شيء: قلت وانا اشعل سيجارتي. هذا طبيعي، لأنها من خيالي وفكرتي انا: قال وعلامات الفخر بادية على محياه الشاحب. واسترسل في حديثه: كنت اعمل مع رجل في مجال صناعة برادات الاغذية، هكذا عبارة عن صناديق من الحديد والألمنيوم المحشي بالعوازل والفلين المضغوط، للحفاظ على البرودة في الداخل، وكنت اعمل في احد تلك الغرف أو الصناديق الكبيرة وكانت جاهزة للتسليم، وكنت اعمل على وضع مصابيح الاضاءة

في داخلها، واحتجت قطعة سلك وبدأت اطلب من معلمي لكنه لم يسمعني بسبب الجدران العازلة، حتى بدأت اصرخ، لكن بدون أي فائدة، كانت عازلة للصوت ايضا، فكرت قليلا ثم شتمت معلمي وصاحب البراد، لم يسمعني احد، كان الامر جميل ومسلي، والحقيقة بدأ مزاجي يتحسن وخصوصا عندما اطلقت السباب على معلمي، ثم شتمت الحكومة، وبدات اقول أي شيء كنت اخشى قوله. لمعت الفكرة في رأسي وصنعت صندوق كبير أو غرفة ووضعتها في نهاية احد الاسواق وعلقت قطعة في واجهة الغرفة وكتبت عليها غرفة الصراخ، قل ما تريد بربع دينار. استغرب الناس في بادئ الامر وجرب احدهم واستحسنها اخر، حتى اصبحت شيء مألوف يتوافد الناس اليها من الصباح حتى المساء. يعطيني الربع ويدخل واغلق الباب ويبدا بالصراخ. قاطعته: وماذا يقولون أو يصرخون. لا اعرف بالضبط: ثم وضع طعم اخر في صنارته. نظر الي وقال: مرة واحدة وضعت جهاز تسجيل في داخلها، وسجلت ما قالوه أو صرخوا به، لا اتذكر جيدا، كانوا ثلاث رجال وامرأة. ناولته على الفور سيجارة اخرى واقتربت له اكثر وقلت بتودد: وماذا سمعت؟.

رفض ان يأخذ السيجارة وقال: الرجل الاول لم يقل سوى كلمة واحدة، قالها بصوت عال جدا صراخ شديد حتى لم يعد له صوت، قال لماذا، لماذا... وثم انصرف قالها اكثر من مائة مرة. والرجل الثاني بدأ بالسباب والشتم، شتم جيرانه واصدقائه واسماء كثيرة لا اعرف من يكونوا، والرجل الثالث كان رجل معاق على كرسي متحرك، لم اسمع له صوت لا كلام ولا صراخ، دخل وبدأ يبكي ويبكي، لكن بكاء بحرقة وخرج، اما المرأة فقد، فقد، استغفر الله، لا اعرف ما اقول، دخلت وشتمت كل شيء في الوجود وحتى من في السماء.

الديك الأسود

كان الديك الأسود الهرم يتخذ سبيله بخطى متثاقلة نحو المهجع المصنوع من جذوع النخيل والقصب، مطأطئ الرأس ويعرج مصطنع ذلك. ونتف بعض الريش من صدره وجناحيه، فقد حل عليه البلاء واصبح مهدد في أي لحظة ان يتوسط مائدة العائلة، وعليه ان يتقمص شكل البائس المريض.

ذلك انه سمع قبل ايام من الدجاجة البيضاء الماجنة ان ديك جديد على وشك الوصول وقد انقضت ايامه وسوف يستبدل بديك فتي قادر على تلقيح الدجاجات العشر بيسر، ويذود عن الفراخ من مخاطر القطط والديوك المتطفلة، وهذا ما دأب على فعله الديك الهرم على مر السنين الفائتة وزيادة على ذلك لم يخسر معركة قط مع الديكة المجاورة، ولا يقدر احد ان ينسى من دجاج القرية ذلك اليوم الذي انتصر فيه على صقر، انقض على احد الفراخ حين كانت تلتقط طعامها كالمعتاد، كان

قريب من موقع الهجوم، كانت حركة رشيقة وحذقة من الديك والمبادرة بالهجوم كالسهم على الصقر حيث ضربه واحدة افلتت الفرخ من مخالب الصقر، وجعلته يلوذ بالفرار على الفور. ذهبت تلك الايام التي كان فيها في اوج قوته وشبابه وذلك الزهو والهيبة، ليس كما اليوم بعرف مائل شحب لونه وغطت وجهه الصفرة كالمسلول، قالت الدجاجة البيضاء الراقدة على البيض في ركن المهجع: الديك الجديد له اسم غريب، ماذا يعني (ريد فاكتر)؟.

- اعتقد انه اللون الاحمر: قالت ذلك الماجنة ودارت بعجيزتها نحو الديك الهرم بتباهي.

- له عرف يشبه التاج: صرحت اخرى كان وجهها محمر وهي تحاول ان تبيض.

له صوت اجش وعضلات مفتولة، انه كبير الحجم وطويل ايضا: دمدم احد الفراخ بذلك وكان نائما في احد السلال الفارغة.

- سوف يقضي عليه ديكنا الأسود بضربة واحدة، كما فعل مع الصقر: قالت هذا الماجنة بسخرية وضحك الفرخ النائم بخبث. واسترسلت الماجنة بالحديث بعد

النظر لوجهها المتلألئ في اناء الماء القذر: هذا هو حال الدنيا، لا احد يستمر، الكل ذاهب نحو الزوال.

_حتى أنت ايتها العاهرة، سوف يذهب ذلك البريق، ويتساقط الريش عن مؤخرتك البائسة وتصبحين كما امك في قدر الحساء أو حرقا في التنور: قال الديك الاسود بدون الالتفات للدجاجة الماجنة.

غادر الديك الهرم مهجع الدجاج، لا يلوي على شيء سوى التسكع بين الاجمات. كان الوقت اصيلا، وبقايا شمس حمراء تلوح في الافق ونتف غيوم بيضاء تسير الهوينة نحو الشمال. توقفت سيارة صاحب البيت أمام فناء المنزل الواسع تحت شجرة النبق الكبيرة، واخرج الرجل ديك احمر قان من صندوق السيارة، وحل الرباط من قدميه وقذف به على الارض، كان الديك الجديد جميل المنظر وله ذيل طويل ومعقوف للخلف مزين بريش زهري لماع. انتصب الديك الجديد وصاح بعد ان طبطب بجناحيه الكبيرين، كان صوته قويا وناعما، وله عرف احمر براق، كقطرة دم كبيرة، خرجت الدجاجة الماجنة اولا وثم على اثرها خرج الجميع ينظر للوافد الجديد. بدأ يخطو متبجحا وينقر كل من كان في طريقه مثل قرصان متسلط، جاءت الدجاجة الماجنة

واضطجعت امامه، رفسها على الفور بدون ادنى احترام حتى ذهبت تتدحرج امامه مثل كرة من الخرق، ثم نقر احد الفراخ الذي فقس حديثا وكذلك امه الواقفة بجنبه ونظر بشزر ناحية الاوزة حتى زرع الرعب في قلبها وانسلت عبر ماء الجدول الصغير وذهبت بعيدا في الجهة الاخرى.

بعدما فعل كل شيء خطر في باله من ضرب ورفس توجه الديك الجديد نحو الديك الاسود وقال بحنق ونفاذ صبر: جاء دورك ايها العجوز المسلول. كان الديك الاسود خلف الاجمة يتظاهر بعدم المبالات ويصطنع عدم الاكتراث لغوغاء الديك الجديد. الحقيقة الديك الهرم يحاول اتخاذ قرار صائب في هذه اللحظة الفاصلة، اما المواجهة أو الانبطاح تحت اقدام هذه الوحش كما الدجاجة، بدأ يفكر كثيرا ويعرف الفارق الكبير بينهما، يعي جيدا قوة الديك الفتي وسرعته وقدرته على القفز والنقر لساعات طويلة، بدأ يوجه ضروب الأسئلة لنفسه، هل انا قادر على المطاولة، هل ضربتي كما السابق لا تحتاج للتكرار، هل استطيع تفادي نقراته الحادة. حدث نفسه عدة مرات. افزعه صوت الديك الجديد مرة اخرى واخرجه من زحمة التفكير.

- ها، تكلم ايها المسلول، هل اكلت القطة لسانك، عليك ان تهيئ لموتك، فلا مكان هنا للعاجزين. قال الديك الجديد وبدا يخطو نحو الاجمة، قد زاد من حنقه سكوت الديك الاسود، كان لا يزال وقفا عند الاجمة، يتطلع إلى الديك الجديد وسائر افراد الدجاج المتجمهر أمام المهجع، كانوا ينتظرون من الديك الاسود الهرم ان يقوم بخطوة جريئة ويعلن عن استعداده للدخول في عراك مع الديك الجديد، وما همهم كثيرة ان تكون الخطوة من هذا أو ذاك، الكل يريد يرى استسلام الديك الاسود وكيف سوف ينكح كما الدجاج أمام انظار الجميع.

وقف الديك الاسود منتصب، يوازن بين كرامته وخبرة السنين في قيادة الدجاج وبين الخطر المتمثل في المواجهة، وقطع الشك باليقين ان الموت اجمل والذ من الخنوع والاهانة.

- هيه انت، لقد فعلت من الحماقات الكثير، عليك الان ان تعرف قاعدة الشجاعة وتكف عن التبجح: قال الديك الاسود وتهيء للنزال المحتوم.

- وهل تجرؤ ايها المسلول الهرم، هل تجرؤ، قال الديك الجديد وتوجه نحو الديك الاسود يخطو كالثور الهائج.

وقفت الدجاجة الماجنة خلف شجرة الرمان، وعند السقيفة الامامية وقف الفرخ الخبيث وعند الساقية تجمهر الباقي، كان النسيم يحرك اوراق الرمان وحفيف سعف النخيل يختلط مع صوت مضخة الماء العاكفة على قذف الدخان الاسود نحو الاعلى. كانت المواجهة محتدمة، والديك الجديد يضرب بكل قوة وقدرة وبدا عرف الديك الاسود ينزف الدماء حتى تجمدت على احدى عينيه ولم يحصل على فرصة واحدة لضرب الديك الجديد، كان الاخير يقفز عالية ويدور خلف الديك الهرم بسرعة فائقة، كان الديك الاسود يصوب نظره بتركيز إلى وجه الديك الفتي وتذكر كيف فعلها سابقا مع الصقر، كانت نظارتهما تتقاطع مع البعض. انقض الديك الجديد برفسة قوية إلى صدر العجوز حتى اسقطه في جدول الماء الصغير ولم يمهله فقد لطمه بأخرى عندما خرج من الماء حتى اصبح يترنح ويجذب انفاسه بصعوبة، وتهيئ لضربة اخرة يجهز بها على الديك المنهك وبنفس اللحظة قفز الاثنان وكان الديك الاسود يصوب نظره في عين الديك الجديد وهكذا كان للخبرة الفيصل وغرز العجوز نابه في عين الديك الجديد حتى اخرجها من محجرها والدماء اصبحت تخرج من عين الديك الفتي كالنافورة واصبح

يترنح وذهب هاربا نحو الاجمة، صاح الديك العجوز صيحة انتصار وثم داهمته نوبة سعال حادة كادت ان تقضي عليه، وقف منتصرا وجاءت الدجاجة الماجنة وانبطحت امامه، رفسها الديك الاسود وذهبت تتدحرج مثل كرة من الخرق

حرب الشوارع

كنت اقف جانبا، وبدأ الذعر يتسلل إلى قلبي، سمعت الزعيق اولا، ثم تحطم شيء ما على الارض، خيل الي إسقاط شيء زجاجي من مكان عالي، إلا ان الامور اتخذت في ما بعد منحى اخر، خرجت ام سلمان وكانت تحمل في يمينها قضيب من حديد، اما ام خالد لم تكن من صفاتها الجبن، ارادت الهجوم هكذا بدون سلاح. قبيل الاشتباك، صاح أبو كاظم: انها الحرب مجددا. ثم ذهب مهرولا واختبأ. انقسم اهل الشارع بين مؤيد للحرب واخر اراد التمرد والعمل بدبلوماسية، الا ان كل مسعى لحل الازمة بات غير ممكن، وعمت الفوضى، وقام بعض الاطفال بإعطاء اشارة الهجوم.

كان المشهد مروعا، حين بدأ الاشتباك، لقد اخترقت ام سلمان ثلاث خطوط دفاعية، واصابت ام خالد بجرح بليغ في الجزء الخلفي للجمجمة، وشقت لها جبينها ايضا، كانت خطة ام خالد رغم الخسائر كانت ناجعة

حيث عملت على اهدار قوة الخصم وثم الانقضاض بوحشية حيث كان اثر رد الفعل كبير جدا ويفوق ما توقع من بعض الاركان في الخطوط الخلفية، كانت الخطة الدفاعية الهجومية قد رسمتها ام خالد بحذاقة وقامت بعض العدو من ثديها حتى قطعت كتلة كبيرة من اللحم بأسنانها.

زواج

كان الكل يهللون ويزعقون فرحاً، وصفيرهم الحاد يزيد من حماستهم، الكل فرح بزواج (نبيل السيد) حتى سمير ابن العمياء كان فرحاً جدا ويطلق الرصاص نحو السماء من بندقية والده الشهيد، لكنها هوت قليلاً، واصابت رصاصة رأس احد اطفال الحي، وعند هروب سمير والشرطي يلاحقه كانت هناك شاحنة مجنونة جعلت من سمير عجينة من اللحم والخراء تلطخ اطارتها السوداء، وعندما علمت ام سمير توقف قلبها وماتت، لكن نبيل السيد حاول ان يثأر لمقتل سمير فضرب الشرطي بقضيب من حديد حتى صرعه وارداه قتيلاً. لكن والد الطفل الفقيد بدأ ينهار ويتصرف بعدائية حتى وجدوه في احد الخرائب وقد اغتصب زوجة نبيل السيد وخنقها بحبل، بعد غسل جثتها اخذوها للجامع ليصلِ عليها الشيخ رحيم وبسبب السجود المستمر انحسر الدم في رأسه وخر ميتاً، يقال انهم وجدوا في رأسه تجلط بحجم خصية

حمار، وغرق احد اطفاله في نهر الفرات عندما كانوا يشعلون الشموع في مناسبة دينية. وفي احد الايام جن جنون سائق الشاحنة واكل زوجته الحامل، لكن اهل الحي لم يكونوا مكتوفي الايدي فتجمعوا حاملين الفؤوس والعصي واقتحموا الحي المجاور واغتصبوا نسائهم وسرقوا اطفالهم وباعوهم. بعد ايام حاول جعفر الكذاب ارجاع طفل مشلول، قد اشتراه من امرأة مومس عمياء، التي رفضت بدورها ارجاع الطفل، بحجة انه لم يعد يبكي، فأقتلع جعفر الكذاب عينيها المطفأتين واعطاهن لأبنته البكماء فابتلعت الحمقاء احداهن واختنقت في الحال، فحكم عليه بالإعدام شنقاً، وقتل نفسه في الزنزانة قبل تنفيذ الحكم، لكن والد نبيل السيد قام بدفن جثة جعفر وانفق كل ما يملك في شراء الحمير البيضاء. لنترك هذا العبث واحدثكم عن أم نبيل السيد التي تطاردها الصبية في الازقة بعدما شاع خبر عن وجود عضو ذكري في خاصرتها، وبعد تناولها جرعة مفرطة من الفياغرا توقف قلبها وماتت.

رجل التفاصيل

دخل الرجل العجوز، وجلس قبالة ضابط التحقيق ينظر من زاوية واحدة كما تفعل الحمامة عندما يلوح جارح ما في الافق البعيد، يحرك نظاراته ذو العدسات السميكة ليحصل على رؤية واضحة حوله بتركيز، كان الرجل يبحر في تفاصيل الغرفة حتى استغرب الضابط نظرات العجوز كانه يبحث عن شيء أو حاجة ويستطلع كل تفصيله وزاوية. قال الضابط للرجل العجوز: قل لي ايها الرجل الطيب، هل أنت اول من وجد القتيل وماذا تفعل في مسرح الجريمة وفي وقت غير ملائم لزيارة أو قضاء حاجة.

عدل الرجل العجوز من جلسته وحرك نظارته وقال: نعم، نعم، سيدي الضابط سوف احكي لك كل شيء بالتفصيل.

احسنت ايها الرجل الطيب: قال الضابط واشار للرجل الاخر ان يبدا بكتابة اقوال العجوز.

نعم سيدي الضابط، كانت الغرفة مستطيلة وسقفها مرتفع بعض الشيء وكانت هناك اضويه بيضاء وثريا كبيرة في الوسط، لم تكن مضاءة وكانت قذرة ايضا لم تلمسها يد منذ زمن طويل والمروحتين ايضا قذرتين، وكان هناك نافذة واحدة كبيرة، والغروب اضاع مسحة الضوء الندية، والمآذن بدأت بالتكبير ايذانا بقدوم الصلاة.

- توقف، توقف، ايها الرجل الطيب، هذا الكلام لا يعني لي شيء ادخل في صلب الموضوع، تكلم عن المجنى عليه، قال الضابط بملل.

- نعم سيدي الضابط كما تشاء: قال العجوز واسترسل في الكلام.

حسننا سيدي الضابط: كان الشاب غارقا في الدماء وملقى على وجهه وسط الغرفة، وقد تحول لون ثيابه من اللون الابيض إلى الاحمر القاني بسبب كمية الدماء التي تسيل من صدغه، كان ثم ثقب ينفذ منه عصفور بجانب عينه اليسرى، والى جانب الشاب كانت ثم منضدة، دائرية الشكل ذات قوائم اربع، ويغطي سطحها قماش مزين بزهور حمراء وصفراء وبعض الاوراق الخضراء وساق طويلة ممتدة على طول القماش تحمل في جنباتها ثمار غريبة، في منتصف الطاولة هناك ابريق شاي من الخزف،

نقش عليه وزات بلون سمائي على خلفية بيضاء وكوب فارغ وملعقة إلى جانب وعاء السكر، و.

- ما هذا، توقف ايها الرجل عن هذا الهراء قل لي ما ينفع. قال الضابط بدأ وجهه يحتقن بالدم.

- نعم سيدي اعلم اني اطيل عليك لكن، لكن يجب ان اقول لك، كان هناك مسدس طويل ملقى على اريكة خشبية من طراز قديم والى جانب المسدس كانت رزمة من النقود وكانت هناك وسادة بقماش مخملي ملون بالأخضر والابيض، نعم سيدي، كان المسدس مخيف. هل تعلم يا سيدي كانت إلى جانب الاريكة خزانة ملابس توسطها مرآة كبيرة، تعكس الوان الستارة الزرقاء التي تغطي الشباك الوحيد في الغرفة، لكن يا سيدي لماذا في رأيك كانت الخزانة مائلة بعض الشيء نحو اليمين، لا علينا المهم، كان الشاب يضع في اصبعه خاتم فضي وفي معصمه ساعة ذو حزام جلدي اسود، حاولت ان اقلب الشاب لأرى وجهه، كان ثقيلا جدا وذو جسد ضخم، اردت ان اتعرف عليه واعرف هل كان هو من ترك حذائه أمام باب الدار، انا يا سيدي كنت ذاهب إلى قريبي في نفس الشارع وعندما رأيت الحذاء خشيت ان تسرق

ودخلت للمنزل بعد ان طرقت الباب الحديدي كالح اللون ولم يجبني احد.

لقطة صباحية

كان الوقت باكرا، وضوء النهار لم يستتب بعد، دقائق تفصلنا حتى تبدأ الدنيا بالتعري وتلقي بعيدا ثوبها الاسود. كانت رائحة الندى الصاعد رويدا نحو الاعلى تشبه عطر فتاة عذراء، تحررت من عناق طويل مع نبات الارض، وبدأت انسام باردة تحرك جفن الطير الغافي لينفض عن ريشه بقايا الليل الموحش، وأزاحت الديكة صدأ يوم امس عن حناجرها لتتهيأ لزعيق جديد، واستلقت الكلاب إلى جانب الجداول تعبة خاوية قد انهكها نباح ليلة كاملة.

أيقظت المرأة ذات الصوت المتكسر ابنتها: (استيقظي الا تشبعين، سوف تنامين نومة ابدية تحت تراب النجف). تعالى تذمر شيماء وبحركات كسولة اثقلها النعاس، تناولت غطاء رأسها ونهضت: (النوم تحت التراب اهون، انا سوف اموت ولم اشبع من النوم). دمدمت شيماء وكانت في طريقها نحو الساقية لتزيح بقايا النعاس وثقل

اجفانها التي تخفق ببطء لزج: (تحركي، سوف تأكل الاغنام بعضها من الجوع) قالت الام بصوتها المتكسر وكانت تصب الحليب في اناء معدني بائس.

- (ومتى تشبع اغنامك يا امي) قالت شيماء بطريقة ساخرة وكانت تشير بأيديها نحو السماء كمن تريد من الله ان يصب جل غضبه على اغنام الام. قعدت على الارض وكرعت طاسة الحليب دون ان تنظر ناحية قرص الخبز الاسمر واخذت بعباءتها وانطلقت نحو المراح حيث كان ثغاء الاغنام يملئ المكان، رفست باب المراح المصنوع من برميل صدئ وقذفته جانبا، خرج الخروف ذو الرأس الاسود اولا كما العادة يقود سرايا الاناث بفخر. كانت شيماء على اعتاب العشرين، ممشوقة القوام، وذو سحنة سمراء تسبغ عليها حالة من التعالي والعظمة، وحاجبين اسودين متصلين، وعينين واسعتين ولها وجه جميل التقاسيم وشفتين رقيقتين بلون الكرز. حاول الخروف ان يحيد عن مساره قاصدا خلسة لوح مزروع بالشعير، غسله الندى وزاد من خضرته، عالجته شيماء بحجر لتعيده إلى رشده.

جريمة اغتصاب

عندما اقدم الليل، وظهر القمر بدراً مكتملاً لينير القرية ويمطر الحقول والبساتين المحيطة بوابل رقيق من الضوء، خرج عبد الزهرة يتفقد البقرة التي ولدت حديثا، وقد دفعه للخروج ايضا نباح الكلاب اللحوح، لكنه تفاجئ باختفاء الحمارة البيضاء عن مكانها المعتاد، فغضب وعقد العزم على اهانة حليمة على عدم الاكتراث والتأكد من ربطها جيدا.

اخذ يدور بين الاشجار ويقتفي اثر الحمارة، يعرف جيدا اين تذهب، على الارجح انها تأكل الان في حقل الشعير خلف بستان النخيل، وبالفعل كانت هناك، لكنها لم تكن تأكل بل كانت تغتصب.

ما رآه عبد الزهرة لم يكن امراً عادياً بل انتهاك واعتداء كارثي، كيف تجراً هذا الوغد على فعل هذا المنكر، وتجاهل كرامة عبد الزهرة هكذا بسهولة.

لقد اغتصب رزاق ال فليح حمارة جاره ولم يستطع عبد الزهرة السيطرة على اعصابه بعد ان رأى شرفه يراق على الارض وبدون مبالا.

صرخ عبد الزهرة صرخة مدوية جعلت رزاق يجفل كالظبي المذعور ولم يستطع رفع سرواله، انطلق هاربا وعيناه جاحظة من شدة الهلع، وعلى اثره كان مطارده، واقسم على قتله، حتى تعثر رزاق بجذع نخلة عتيق وسقط على محراث حديدي شج له رأسه ومات على الفور. لم تنتهي القصة إلى هذا الحد بعد انتهاء مجلس العزاء اقسم اخوة رزاق على قتل عبد الزهرة ثئراً لأخيهم المغدور كما يصفون قتله وانكروا قصة الاغتصاب للحمارة جملة وتفصيلا.

اشار بعد الاعمام والاقارب على عبد الزهرة للهرب إلى مكان بعيد خشية ان يقتل لكن الاخير اصر على البقاء والتحدي معتبرا ان الحق معه وقد تم التجاوز على كرامته.

وفي ليلة لم تكن مقمرة والظلام بدى شديدٌ مطبقٌ على ارض القرية واهلها قتل عبد الزهرة على يد شقيق رزاق الصغير وعمت فوضى عارمة وتجمع رجال العشيرتان مدججين بالسلاح وعلى مشارف الفجر اشتبك العشيرتين

وصارت معركة كبيرة وسقط الكثير من الرجال واصيب عدد اخر وقتل حميد السيد الذي اراد التدخل وفض النزاع رافعا عقال رأسه ومستنجدا بقرابته للنبي ومنزلته عند القوم لكن الرصاص الجارف لم يمهله وارداه قتيلاً ايضا عند مربط الحمارة البيضاء.

فتاة العسلية

على الحدود العراقية الايرانية تم رفع جثتين من قبل القوات العراقية المتقدمة. بعد هجوم اطاح بالجيشين المتقابلين. في ساعةٍ مبكرةٍ ومع انهمار اول خيوط شمسية رُفعت الجثتان. جنديان قتلَ احدهما الاخر.
رزاق جندي عراقي يسكن في ارياف السماوة، والثاني جندي ايراني في منتصف عقده الثالث، كانا ميتين بطريقة غريبة. ومن الاثار الموجودة على الجثتين تبين كيف قتلَ احدهما الاخر. الجندي الايراني فقد حنجرته ونزف حتى الموت، وبقايا لحم وجلد الرقبة مع قليل من شعر الذقن النازل على رقبته، وجد داخل فم رزاق. والجندي الايراني لم يكن بخيلاً مع رزاق فقد طعنه بحربته ست طعنات في الخاصرة حتى خر ميتا. وجدا متعانقين، يدُ رزاق اليسرى مشتبكة مع اصابع يد الجندي الايراني اليمنى ويد رزاق اليمنى حول رقبة الجندي الايراني والاخير كان يمسك مقبض الحربة ونصلها في خاصرة

رزاق، بعض الجنود قالوا باستهزاء وسخرية: هل تعاركا ام كانا يرقصان!
فعلاً، العناق غريب والاكثر غرابة كان الجنديان مبتسمين ملء الاشداق!.
قال جندي لمصور الحرب والموت: التقط صورةً لهما قبل ان نحررهما من هذا العناق الغريب!
رد ضابط يقف على مقربة من الجثتين بحنق: اياك ان تلتقط صورة؛ لا نريد صورة لجندي ايراني مبتسما حتى وان كان ميتا.
وصل جثمان رزاق وحكايته للقرية، بدت زوجته فاطمة مندهشة عند رؤيتها رزاق بابتسامة عريضة، اعتقدت انها بسبب ولادة طفلتهما البِكر. بعد انتهاء مجلس العزاء قررت فاطمة تسمية طفلتها (ابتسام) تيمنا بابتسامة والدها الشهيد، لكن حكاية عناقه مع الجندي الايراني تثير مشاعر فاطمة، بعض النسوة صرن يثرثرن: كانا يرقصان! وغيرهن قلن انهما تناكحا والعياذ بالله قبل ان يتقاتلا.
بدأ الشك يثقل كاهل فاطمة فذهبت إلى مسجد القرية والتقت هناك بشيخ الجامع وحكت له كيف ان زوجها استشهد وهو يعانق جندي ايراني ويبتسم.

قال الشيخ بوقار ببعض من الخشوع: لا تخافي فزوجك قد رأى الجنة ومكانه فيها، فأستبشر وابتسم.
نظرت فاطمة إلى السماء برهةً ثم سألت: لكن يا شيخ.. الجندي الايراني كان يبستم ايضا!!
بدأ الخشوع يتلاشى وبدت عينا الشيخ تضيقان وانفه يحمر وقال: نعم نعم الجندي الايراني ابتسم بعدما ادرك كيف انه كان مخدوعاً وابله.
نظرت فاطمة في وجه الشيخ وهو يختلس النظر إلى ثدييها فاستدارت باصقةً وراءها على الارض.
ابتسام التي ولدت في اليوم الذي وصل فيه جثمان ابيها معلّباً بصندوقٍ من خشبٍ رديء، قد لف بالعلم العراقي كان لها من الغرابة طباع أبيها! لم تبكِ عند خروجها من بطن امها، كانت تضحك بهستيرية وعندما تتوقف عن الضحك تبقى مبتسمة.. حتى اثناء نومها ترسم على محياها ابتسامةً عريضة. وعند بلوغها عامها الثامن لم يزايلها الابتسام!
عَلِمَ اطفال القرية انها لا تتألم ايضا وليس لديها أي احساس بالألم عند ضربها أو ركلها على مؤخرتها، واثناء جلوسها أمام البيت فيما تبيع العسلية على أقرانها

الاطفال، كانوا يفتعلون شتى السبل ليجعلوها تتألم على أن محاولاتهم عموما تبوء بالفشل.

احد الاطفال قطع شوكةً كبيرةً من سعف النخيل وشرعَ يغرزها في فخذها غرزاً عميقاً لكن ما من شيء.. تبتسم فقط!، حاول مرة ثانية وثالثة ولكن لا شيء عدا الابتسامة..!

ما أن أعياه التعب ولم تُظهر ابتسام أي علامات للتألّم قرر ان يختار مكاناً افضل.. قام بغرز شوكته في خاصرتها مرة وثانية وثالثة حتى وصل للطعنة السادسة وهو ينظر لوجه ابتسام بفضول!

فما كان من البنت الصغيرة حتى وثبت كالذئب فاغرةً فاها ومزقت له حنجرته.

سرقة

اعترف لكم بذنبي، كما تفعل الفتيات المسيحيات سابقا، تجلس أمام شباك صغير خلفه يجثم كاهن ينظر من ثقوب مخفية لأجسادهن البضة. وتبدأ الفتاة المذنبة حيث اهدرت شفتيها في لحظة ثقة لشاب معتوه أو عاشق استسلم لحبتيّ التوت واخذ يلتهم رحيقهما بلا رحمة، تسرد ما حدث وكيف هي نادمة على فعلتها. وعلى انغام حشرجاتها تنتصب كل جوارح الكاهن الطاعن ويسيل لعابه الطاهر.

كنت اسير أمام مقهى (عباس شيخ هادي) وكان الوضع بائس جدا، بدأت اكلة الحصار الاقتصادي تنخر ضمير الامة وجسدها، واصبح قرص الخبز بعيد كما قرص الشمس، والرجال تخرج بوجوه شاحبة كما ضوء الفجر، والعيون شابحة للخلف تعرف ثم بطون خاوية؛ تنتظر مثل طيور لحمية في اعشاش نصف مهدمة. واصبحت الأمهات توفر فتات الخبز للأيام الاكثر ظلمة واشد بؤسا.

كنت اسير على غير هدى، حتى خرج من المقهى رجل منهك بملابس كاكي وأمارات الحرب والموت بادية على وجهه الحليق واشار الي بالاقتراب اليه، ثم انحنا بتودد وهمس وهو يلتفت حذرا: شلونك، أنت مبين حباب، اريدك ان تشتري لي من الدكان وانطيك ربع دينار.

كان للعرض مزايا مبهرة، وكنت آنذاك اعشق افلام السينما وخصوصا افلام بروسلي وافلام الفاتنات التركية وشعاع اجسادهن العارية يخلب اللب. قال: اريد تشتري لي بطل عرق من دكان جلال.

كان دكان جلال يقع على طريق جسر المشاة الخشبي. اعطاني اربع دنانير وقال: انتظرك هنا ولا تتأخر وحين ترجع انطيك ربع الدينار. نعم انا بجسد ضعيف ورجل معطوبة لكن لي دهاء يفوق مكر ثعالب العالم مجتمعة، بدأت افكر واحلم اني في سينما سميرة ميس واتابع حركات هوليا وجسدها العاري تحت اشعة الشمس، تطوح بمؤخرتها على شاطئ مليء بالرجال والنساء، حلمت اني اتناول لفة الفلافل وبطل اللبن الحامض ورنين الدراهم يضج في جيب الدشداشة مع كل حركة تحاكي قفزات البطل.

حين وقفت أمام دكان جلال التفت نحو الجسر الخشبي وثم ناحية المقهى البعيدة وثم قفزت صورة هوليا امامي قلت في سري العرق حرام وانطلقت نحو الجسر حيث السينما تنتظر وهوليا عارية على الشاطئ.

نظرة من الأعلى

في ليلة شتاء باردة افلت احد الشياطين من ضربات الشهب والنجوم ليسترق السمع في احد زوايا السماء. كان مناورا فذا وبدء يطير نحو السماء على شكل لولبي متحاشيا كل محاولات اسقاطه. لم تشفع لهم كل التقنيات واجهزت الرصد المتطورة من ايقاف شيطان يافع اراد اشباع فضوله. عند وصوله إلى تخوم السماء الاولى استتر خلف شجرة توت عملاقة، واغصانها المحملة بالثمار وعصافير الدوري الذهبية، وأوراقها الخضراء النظرة، تزيد من كثافتها حيث تخفي ورائها عشر فيلة ما موث.

كان هدف الشيطان الوصول قدر الامكان حيث مهاجع الملائكة، جل فضوله معرفة سبب سخط الله عليه واللعنة التي حلت عليه وهو في مقتبل العمر، حيث لم يتجاوز الثلاث مائة عام بعد. كانت الخطة التي تموء في صدره مثل قط في خزانة ملابس، ان يمسك احد الملائكة

ويوسعه ضربا حتى يبوح له عن كل شاردة وواردة استقرت في رأسه المقدس. لازمه الشعور بالسخط منذ ولادته في صحراء حضرموت، هل مررتم بشعور انك تولدت منبوذا وبسحنة حمراء وقرون ملتفة خلف هامتك، واسنان ناتئة قذرة واصابع لها مخالب طويلة مثل ساحرات الاساطير، وظهر محدودب. كان شعورا فضيعا قطعا، اليوم قد عقد العزم شيطاننا الصغير على معرفة السبب مهما كلف الامر.

امضى الشيطان الصغير طيلة ما بعد الظهر في حالة من نفاذ صبر واستياء، كان النهار طويلا جدا وليس هناك أي بادرة امل على حلول المساء، بدأ يتحرك مستترا خلف الاجمات وبعض الشجيرات، هائما على وجهه، لا يعرف في أي اتجاه يذهب أو أي طريق يسلك. كان الجو عابقا بالروائح العطرية ورذاذ الماء المتطاير من الجداول ينعش المكان، والطيور الملونة والفراشات البيضاء تزين ذلك العالم الصامت.

وقعت عينيه على شيء ابيض يتحرك من بعيد اسفل الهضبة بعد مسير استغرق عامين كاملين، كان جالسا يستريح بين جبلين شاهقين، نهض وانطلق نحو ذلك البياض، الذي حين بات قريبا تبين انه ملاك عجوز يجمع

بعض الزهور الصفراء، ويضعها في سلة صنعت من خوص ذهبي ومزينة بالياقوت الملون. انقض عليه الشيطان بدون أي تردد، لقد نفذ صبره ولم يعد يتحمل، كان الملاك غافلا منشغلا في قطف الزهور ويتحرك بتؤدة، ذو سحنة باهتة وجسد هرم وجناحين شبه محطمين يغطيهن ريش عتيق تآكلت اطرافه. صرخ الشيطان بصوت جهوري: اياك ان تتحرك ايها العجوز اللعين. التفت الملاك بدون أي مبالات بعد ان داهمته نوبة سعال حادة كادت ان تقضي عليه.

- من انت، ومن اين اتيت. قال: الملاك دون ان ينظر نحو الشيطان.

- ومن اكون في رأيك ايها العجوز الخرف، هل هيئتي هيئة غزال أو دجاجة؟ انا الشيطان. قال واضعا قبضتيه على جنبيه في حالة تحد.

لم يبال ايضا واسترسل الملاك العجوز بقطف الازهار الصفراء بينما كانت لحيته البيضاء كالثلج تتأرجح مع هبات النسيم، ثم دمدم بصوت خفيض:

- وماذا تريد ايها الشيطان.

- اريد ان اعرف، لماذا انا ملعون!؟، قل لي ايها الملاك هل تعرف لما انا هكذا، وماذا فعلت، ما هو ذنبي. قال الشيطان: مطأطأ رأسه كالصبي الافاق.

امتلأت سلة الملاك حتى اخرها بالزهور الصفراء وعدل من وقفته المقوسة ولملم جناحيه لكن عبثا يحاول كانا كخرق بالية، تحرك خطوتين للأمام ثم التفت نحو الشيطان وبنبرة الاستهزاء قال: ومن قال لك انك ملعون وشيطان ايضا، هيا تحرك معي نذهب لمكان نستريح قليلا.

وصل الملاك يتبعه الشيطان إلى كوة محاطة باطار من المرمر وبحواف منقوشة بأشكال هندسية، صنعت للجلوس لمن يريد النظر للأسفل من الكوة، التي لا تتعدى المترين أو ثلاث. جلس الملاك اولا بعد ان طقطقت ركبتيه وجذعه المرتعش، جلس الشيطان ايضا إلى جانب الملاك، كان الشيطان مطأطئ الرأس ينظر نحو الارض مستغربا رؤيتها هكذا بوضوح من هذا الارتفاع الكبير.

داهمت الملاك نوبة سعال اخرى كادت ان تجهز عليه الا انه استعاد شيء من قدرته على التنفس وبدأ يتحدث لاهثا: مع انني عادة لا اتكلم مع الغرباء، لكن لا ضير

انك مخلوق مسكين، انظر، من هنا كنت اتابع منذ الاف السنين إلى هؤلاء البشر... قاطعه الملاك: هل عشت الاف السنين!.

استرسل الملاك في حديثة دون ان يؤكد للشيطان عن تساءله: انظر اليهم، انظر، قد فعلوا ما لم يفعله أي شيطان، انظر حيث ذلك الهرم الكبير، زهقت الاف الارواح البريئة من البشر المساكين تحت نير العبودية من اجل قبر الفرعون البائس، انظر هناك ايضا، نعم، لقد شهدت ذلك الحدث وانا جالس هنا.

بدأ الملاك متأثرا جدا وسكب بعض الدموع من عينيه المطفأتين وذهب بريقهما مع السنون بلا رجعة. كان الشيطان ينظر نحو الارض واضعا رأسه بين ركبتيه مختنق بعبرته.

ثم اردف الملاك قائلا، كنت اجلس هنا عندما بدأ البابليون بإخصاء الاطفال الرضع ليضاجعهم ملكهم الجاحد وها هنا كنت اتابع ذبح الرجال والنساء في تلك الغابات الكثيفة، انظر، ايها المسكين، هناك بين الجبلين بدأ حز الرقاب، وهناك احرق البشر، وفي تلك الزاوية اغتصبت النساء، انظر، ذلك السهل الاخضر حيث مات البشر جوعا، هل تصدق ان في تلك الصحراء قطعت

الاجساد لوجه الله، انظر ايها المسكين، انظر إلى الشياطين اصحاب الوجوه الجميلة... نهض الشيطان وبدأت على وجهه ابتسامة مجهولة بين السخرية والغضب وبدون ان ينطق بكلمة رما بنفسه من الكوة.

المبرد

بينما كنتُ جالساً في ركن الغرفة وانظر لأصابعي باهتمام، وجدت اظفر ابهامي قد نتأ قليلا واصبح حادا بعض الشيء من الطرف. وهذا ما افعله بعض الاحيان بعدما سئمت الصراخ على الاولاد وكم الاهمال الذي تبين يعم ارجاء المنزل، تشاجرنا عدّت مرات انا ومريم وفي كل مرة تقول: هذا بسبب حظر التجوال وتقف متبرمة تنظر للسماء، لا اعرف ما تقول. وحتى تسير الأمور ولا تذهب نحو الاسوء بدأت اجلس وانظر إلى اصابعي حتى اكتشفت ذلك التشوه.

لم يكن الامر سهل عليّ، تشجعت قليلاً وقلت بنبرة رجاء: هل لدينا مبرد اظافر يا مريم. نظرت نحوي بنصف التفاتة وابتسامة من فم مقوس نحو الاسفل: نعم نعم بكل سرور يا عزيزي، قبل لحظات رأيته على رف المرآة، وانطلقت نحو المرآة تعدو كالحصان: اين ذهب كان هنا منذ لحظات هل اخذته يا احمد، ياسمين اين مبرد

الأظافر اللعين، اين اخذتموه ايها القردة. لا بأس يا عزيزتي. لا لا احلف بالأنبياء لدينا واحد وكان على الرف بلا شك. وثم بدأت تبحث في الكوميديون وتبعثر ادوات التجميل والعطور بهستيرية مع دمدمة مرعبة: احمد الشقي سوف اقطعك إلى نصفين يا ابن.....، نظرت نحوي واردفت: لربما اخذه الملعون وتركه على السرير، طفل شرير، انتظر. وبدات تبحث تحت الشراشف وقذفت الوسائد على الارض. اوه لا تشغلي بالك يا عزيزتي ليس مهم في وقت لاحق. دع عنك هذا لا عليك سوف اجده قالت: وانطلقت نحو الصالة وكلمات مثل، سأعثر عليه أو لا تشغل بالك، تلحق بها واصابعها تدخل في كل زاوية أو شق في البيت والكلمات النابية لا تفارق شفتيها تشتم ياسمين تارة وتبصق في وجه احمد وتركل الاشياء التي تجدها في طريقها. وبعد انتهاء الزوبعة وتساقط بعض القدور وكسر اكثر من اربع صحون ندت صرخة من المطبخ ملأت الارجاء: هذا هو وجدته المبرد اللعين هذا..... هذا الشيطان هذا..... المبرد وفتحت باب الشارع ومن خلف درفة الباب رمته وهي تبصق خلفه.

لقطة حوارية

في احد شوارع القشلة صادف ان رجل وامرأة كانا يمشيان امامي، لم تكن المسافة بيني وبينهم سوى بضع خطوات، مسترسلين بالحديث باستغراق واندماج اثيري.
قال الرجل وكان صوته اشبه بتكسر اواني خزفية
- ها، قولي، هل رأيت الفتاة. وبدأ ينهش ذقنه الاشيب.
قالت المرأة وهي تحاول ان تتقمص شخصية الانسان العارف بكل شيء.
- نعم. قالتها بنبرة صارمة.
- نعم، تكلمي يا امرأة؟.
- ماذا تريد ان اقول، فتاة عادية. واشاحت بوجهها نحو الرصيف فثم قط يحاول تمزيق كيس نفايات مركون قرب احد الابواب.
- ماذا تقصدين، هل تلائم احمد؟.
- لا اعرف بالضبط؟، شعرها قصير ولم يكن كثيف، شعر بنت قريبي كان اطول وناعم كالحرير.

- وهل نريدها زوجة لأبننا أو نحلق شعرها، ما هذا يا امرأة!. واخرج الرجل من جيب سرواله علبة واستل منها سيجارة واسترسل بالحديث ولكن هذا المرة بدأ يشير بسبابته نحو وجه المرأة وقال بامتعاض:

- اسمعيني جيدا، اياك ان تعتقدي ان ازوج ابني من ابنت قريبك حتى لو كلفني هذا حياتي.

توقفت المرأة فجأة واخرجت يدها من كم عباءتها واحتقن وجهها بالدم وتحول لونه للأرجواني وقالت بعصبية:

- وأنت اياك اياك ان تفكر ولو للحظة ان اسمح بتلك الشعثاء تكون زوجة لابني الوحيد. وحاولت أنت تسير مجددا، لكن كانت قبضة الرجل مباغتة وسريعة حطة كالنسر على كتفها وجعلتها تتسمر في مكانها، نظرت نحو الرجل زامة شفتيها كأنها تستعد للكمه في وجهه.

ثم اردفت قائلة:

- هل جننت يا رجل، اتركني اذهب، وسارت بالاتجاه المعاكس بعد ان افلتها الرجل من تحت براثن اصابعه.

تراجع الرجل وعاود السير خلف المرأة تلازمه نوبة سعال مجهدة جعلته يرتعش.

الزوجين والقصاب

قال الرجل الذي على الارجح كان في الخمسين عند جذع النخلة، بلحية غير مشذبه يندلق عليها البياض من اعلى الذقن لحيلها إلى خطوط متداخلة من الرمادي الغامق، انفه معقوف ورأس اشبه بالمستطيل، سرواله مرتفع اعلى من الخصر وقميص بلون لماع بدأت ياقته متآكلة: هنا، هنا، عزيزي، اذبح الخروف هنا، ليذهب الدم سماداً للنخلة.

رد القصاب وهو محزم على دشداشة بنيّة متخشبة من فرط الدماء العالقة والمتجمدة عليها، ورسم على محياه ابتسامة من فم مقوس لغرض المجاملة ليس الا: نعم، فعلا، الدماء سماد جيد، ودفع الخروف الذي لا يعلم ما يحدث نحو النخلة وذبحه على عجل.

قال الرجل الذي على الارجح كان في الخمسين بعد ان وضع صندوق خشبي كان ملقى في طرف الحديقة وجلس قبالة القصاب واضعا ساق على اخرى: ارجوك يا

عزيزي، اريد تقطيعه على نحو قطع صغيرة بدون عظم، انا وام خيري نريد عمل كباب وشاورمة.
رد القصاب بدون ان يلتفت وكان منهمك في تعليق جسد الخروف على جذع النخلة: كما تريد، انا حاضر.
والعظام، العظام، اريد تكسيرها ايضا، قطع صغيرة، لأستطيع ان اعمل منها حساء العدس: قالت المرأة من خلف الشباك، وصوتها كما لو كان منبعث من تلفاز أو تعض على شيء.
نظر القصاب حيث اتجاه الصوت وصرح بصوت منخفض: نعم، نعم، واسترسل في عمله بوجه بدأ عابسا.
وقف الرجل الذي على الارجح كان في الخمسين ومط ذراعيه وتثائب ثم اقترب من القصاب واضعا يديه خلف ضهره وقال بعد ان حيا القصاب واشاد بعمله: ولا تنسى يا اخي تنظيف الرأس والارجل، وقهقه بطريقة مزرية، هه هه هه، واردف: انا احب اكل (الباجة).
رد القصاب بعد ان قطع الخروف إلى نصفين، نعم، سوف انظف كل شيء.
ومن خلف الشباك ايضا، ولكن كان الصوت ضعيف بعض الشيء: ولا تنسى الجلد، هل تتذكر ما قاله اخي أبو مروان كيف يعمل من الجلد ممسحة اقدام.

رد عليها الرجل الذي على الارجح كان في الخمسين: نعم، نعم، لابأس، لقد سمعك الرجل الطيب.

دمدم القصاب واصبحت ملامح وجهه متشنجة ومحمرة، نعم خذي الجلد ايضا، لا اريده.

التفت الرجل الذي على الارجح كان في الخمسين نحو الشباك وهتف: ام خيري، يا ام خيري، اريد ان تعملي لي من الامعاء بسطرمة. وكان يريد من ذلك الصراخ ان يسمعه القصاب.

جاء الرد من خلف الشباك: نعم يا عزيزي. ثم اردفت ولا تنسى اذا كان هناك بقايا من اللحم أو فضلات فأنها من حصة قطتنا.

ايدها الرجل الذي على الارجح كان في الخمسين وقال بعد ان انتهى من نوبة سعال: نعم، واشعل سيجارة لتزيد من نوبة سعاله.

وقف القصاب بعد ان قذف بالسكين والساطور في وسط الحديقة والتفت نحو الشباك وقال بحنق وعصبية. لقد نسينا شيء يا سيدتي للآسف.

رد الصوت التلفازي: ما هو يا ولدي، قل، لقد ارعبتني.

قال القصاب بعد ان لملم كل اغراضه: لقد فاتنا شيء مهم، لو كان هناك جهاز تسجيل قبل ذبح الخروف.

وقف الرجل الذي على الارجح كان في الخمسين وبدا مذعورا: وماذا نفعل بجهاز التسجيل.
قال القصاب مستهزئا بالاثنين: لأسجل صوت الخروف حتى لا يتبقى شيء.

حياة قصيرة

تحاول تحريك اطرافك، تعجز عن ذلك، تفقد السيطرة، حركات للأصابع لا ارادية، يداهمك احساس انك ملفوف ومربوط بشيء ما، ترفس بقدميك دون جدوى، الم واخز في سرتك وبطنك، أحشائك فارغة تطلب الغذاء بنهم.

لا ترى شيء في ذلك الليل البهيم، ضوء قمر شاحب ونجوم بعيدة، واصوات قطط من بعيد ترعبك ودبيب مجهول عند رأسك.

تحاول ان تبلع ريقك لكن عبثا تحاول، فمك جاف كالخشب ولسانك يلتصق في لثتك. تبك بصوت ناعم وخفيض وتبدا شفتيك ترتجف.

تبدأ ارتال من النمل بالتسلق على جسدك، جذبتها بقايا الدم والسوائل على جلدك الطري تحت خرق من اسمال بالية ورطبة، وتبدا تقضم من لحمك بشراهة، وتختار اماكن اكثر نعومة، تطبق بفكاكها على اطراف جفونك

وشفتيك وانفك ورقبتك فثم افواه صغيرة في الجحور تنتظر غذائها.

تزداد عليك اللدغات زيادة على الم سرتك وظمئك ويزداد معها بكائك المتقطع وعنيك التي تنظر للسماء تستجدي العطف والخلاص.

يرعبك هدير سيارة مسرعة تمر بالقرب من الرصيف المحاذي لبناية الجامع حيث تركوك بداخل صندوق خضار بلاستيكي، يملأ الغبار والدخان المتطاير خلف السيارة منخريك الرطبين بالسوائل وتنكمش جبهتك وأنت تعتصر روحك للخلاص، للإفلات من افكاك النمل الشره ولفافة القماش البائسة وجوعك المستمر.

تطوح بجسدك محاولا الخلاص، الهروب من هذا السجن البلاستيكي، تحاول التحرر والسيطرة على جسدك المنهك، أنت تفر من آلامك، من وحشتك من خوفك. تكره ضعفك وقلة حيلتك وحركة اطرافك المستمرة على غير هدى تحت اربطة احكم شدها على جسدك الصغير جيدا.

تسمع صوت غريب من بعيد، يقترب، صوت احتكاك شيء بالأرض، تتبعه خطوات مسرعة، يقترب اكثر، يزيد من رعبك، تتراكم مخاوفك، تطبق على صدرك المنهك

من البكاء، يستمر بكائك الجاف والمتقطع، يخفت الاحتكاك فجأة وتقترب الخطوات نحوك، اكثر، اكثر، حتى ترى شيء غريب وعينين غائرتين مرهقتين، تنظران اليك بتعجب ودهشة، تسمع صوت، لا تعرف ما يعني وماذا يكون (ما هذا، يا الله، يا مسكين)، يحملك أنت والصندوق ويضعك في العربة الخشبية ويعيد ادراجه من حيث اتى.

تبدا رحلتك في دروب ملتوية ومتعرجة، مليئة بالحجارة والحفر، تنحرف يمينا ثم لم تلبث حتى تستدير يسارا، تدوخ، يصيبك الدوار بسبب الارتجاج المستمر ولهاث الرجل المنهك خلف العربة، تجتاز اخر حفرة وثم تقف عربتك الخشبية، يحملك الرجل مرة اخرى ويدخل إلى بيت خرب اسوء من حالتك واكثر وهنا من جسدك، يقف في باحة الدار يتلقف انفاسه بصعوبة ويخرج زفيره متكسر مع نوبات سعال محملة برذاذ يعج برائحة التبغ، يصرخ مناديا زوجته (حليمة، يا حليمة، تعالي، وانظري ماذا وجدت) تخرج امرأة من حجرة مظلمة بوجه متجهم يثقله النعاس والخيبة، تلبس السواد وحاسرة عن شعرها الاجعد. تقترب من الرجل تنظر للصندوق البلاستيكي، تعاود النظر بوجه زوجها المترقب لردت فعلها، وتزيغ

النظر برهة نحو الصندوق وثم تلطم خدها بأطراف اصبعها (هذا شنو، انظر يا رجل، من انين اتيت بهذه المصيبة، ماذا افعل بـ(نغل) الا يكفي الافواه الخمسة في حجرتك البائسة، اغرب عن وجهي حالا وتخلص من هذا النغل على الفور، واذهب لعملك) استدارت نحو حجرتها وقالت دون ان تستدير للرجل (اذهب وسلمه لمركز الشرطة).

تسمع هذه الكلمة لأول مرة (نغل)، لا تعرف ما تعني، ارجاعك للعربة يزيد من بؤسك وألأمك. تبدأ الرحلة من جديد ذات الحفر والتعرجات، ولكن بدأ الرجل يزيد من سرعة خطواته ويتلقف الهواه مثل غريق، يدفع العربة بيد والاخرى تخرج من جيب الرجل علبة سجائر رخيصة لا تساوي شيء، يضع واحدة بين شفتيه ويشعلها، يمج انفاس بلا هوادة حتى اخر نفس ويحترق عقبها ويلسع شفتيه، يبصقها من فمه ويستدير شمالا، تستقر العربة في مسيرها وتعلم انك الان على طريق معبد، تستريح قليلا من ذلك الارتجاج المدوخ، تغفو قليلا.

تستيقظ عند اهتزاز الصندوق فجأة، يدمدم الرجل مع رجل اخر، يضعوك في عربة اخرى ورحلة اخرى، لتزيد من جفاف حلقك والتصاق لسانك في لثتك. تنطلق بك

عربة جديدة لكن اسرع ورجلها اقوى يسير بك بطرق ملتوية ولكن باهتزازات اقل، يبدأ الظلام بالتراجع وترى نور خافت لأول مرة، ينبثق الفجر بسماء صافية خالية لا ترى فيها سحابة واحدة. نسمات باردة عليلة تضرب وجهك البائس عزاءا لعطشك. يبدا الرجل بالسير بخطوات طويلا وبطيئة جدا، يدور، ثم لا يلبث حتى بدأ يسير باستقامة، ثم دورة ثانية وبعدها استقامة ثم دورة وتوقف، تسمع طرق على شيء معدني، يستمر في طرق الباب، لكن احدا لم يجب، يعاود الطرق، بدون أي كلل وملل، يطرق بجدية، يستعين بحجر صغير، يطرق الباب بعنف، تخرج امرأة متذمرة تصرخ بوجه الرجل، صوتها اشبه بفحيح افعى مجلجلة، تشتم الرجل وتسب كل شيء، ثم تلتقطك من العربة، وتبدأ رحلة شقائك من جديد لكن ليس في عربة خشبية ولا على رصيف مجاور لجامع بل في سوق مكتظ بالباعة والناس في مراسيم تسول وعاهة مستديمة.

رسالة إلى صديقي

صديقي العزيز جوناثان، تحية وبعد.
اسف جدا، لم ارد على رسالتك على الواتساب، لم اتجاهلها حقا يا صديقي، لكن منذ الصباح الباكر وانا اجري على مضض ولم يسعفني الوقت حتى للنظر في هاتفي. اليوم كان استثنائي، اليوم الحرارة تتخطى ال ٤٩، ولم نحصل عل ماء منذ امس الاول، وأنت تعرف الاستحمام شيء مهم في وضع حار وساخن حد القرف، الماء مقطوع، وحين جاءت البشارة وصرخت امي على كنتها ان تشغل مضخة الماء، كانت المفاجأة تعطل المضخة وأنت تعرف كيف بدى وجه امي وبدأت تنوح مثل فيروز وتصرخ ثكلى على فقد المضخة في وقت كان اشبه بتيه على كوكب الزهرة، كان الحل الوحيد هو الاستغاثة بي، ولا اقول لك كيف كان شعوري حين استيقظت على صراخ امي وكانت حانقة جدا وكنتها تولول خلفها مثل راهبة شمطاء، لا اريد ان اطيل عليك

كانت المشكلة التي تلت ذلك في فك انابيب المضخة حيث تبين ان احد الجيران اخذ المفكات ولم يعيدهن الينا، شتمتهم امي وبصقت بوجه كنتها التي اعطهم المفكات، كان ذلك في مكان لا يتجاوز المتر ونصف حيث المغسلة محشورة في مكان بين باب البيت والحمام وكنت محشورا بين المضخة والمغسلة من جهة وعجيزة امي من جهة اخرى، كان المكان اشبه بنوم رجل في مهبل فيلة عجوز، عليك يا صديقي ان تتصور الفرحة حين جاءوا بالمفكات، اخذت احاول لكن كان الصدأ قد اغلق كل شيء وبدى مستحيلا تحريق الدواليب والانابيب كانت متآكلة حتى تهشم الذي يذهب نحو الخزان واصاب الاخر الاعوجاج، لطمت امي على وجهها ولعنة اليوم الذي ولدتني فيه وكانت تقف إلى جانبها كنتها التي تحمل سلة صغيرة مليئة بالسمك الزوري وكانت تدمدم على قسمتها العفنة التي جاءت بها إلى بيتنا، لكن يا عزيزي جوناثان تمكنت من خلع المضخة عن مكانها اخيرا وعلي الذهاب لشراء واحدة وقطع من الانابيب، سوف اكمل حديثي معك في وقت لاحق.

قتل امرأة مينة

انيطت المهمة إلى الفدائيين. في زمن الحصار الخانق، كان ثم قوة حكومية تسمى فدائيو صدام، كان يقودهم ضباط من محافظات شتى، يتمتعون بصيت واسع من العنف والوحشية، استطاعوا بتلك النزعة الاجرامية ان يحسب لهم الف حساب، كانت المهمة بذبح العاهرات في كل المحافظات، ذلك محاولة من الحكومة لاسترضاء الجماعات الاسلامية والاجندات ذات التوجه الايدلوجي الاسلامي المتطرف وكانت محاولة انعاش لجسد حزب البحث المتهتك والمحتضر في العراق. في فجر يوم خانق وكئيب انبثق الفدائيون من العدم في حي نائم تحت وطأة الجوع والفاقة، وانفاس الاطفال العراة تحيط بالحي الهالك، كانت الاطفال تنموا وتكبر مع الحسرات والبؤس حتى بدت وجوههم تشبه ايامهم القاحلة. كانت مهمة القوة التي اقتحمت الحي الفقير واضحة ودقيقة، قطع رأس المرأة المثبت اسمها في قائمة

الموت والذبح، كانت الشاة التي سوف تكون اضحية هذا النهار الاحمر، اليوم سوف تقطع رقبة باسم الحكومة والشعب، سوف تراق دماء على شرف الاستبداد والرجعية.

كانت العاهرة التي حل موتها تدعى (ب) كانت تبيع جسدها لكل من يدفع، أي شخص قادر على دفع المال فليقحم ذكوريته في ذلك الجسد المنهك، لا تفرق ابدا بين جندي أو موظف بين رجل ريفي أو حفار قبور، المهم يدفع، وان كان له رائحة تشبه رائعة السمك أو بأنفاس عفنة، لا يهم ليدعك جسدها بالأرض في الوحل حتى، المهم انه يدفع.

امرأة ضائعة، بقايا ادمية، قتلت الحاجة كل شعور في داخلها، الحنان، الامومة، الحب، ذهب كل شيء، مع كل مرة تفتح فخذيها لاحدهم، كانت تذوب وتنصهر مع كل قطرة من ماء زبائنها. ليكن ما يكن المهم انها ترجع بعد منتصف الليل وتحمل في يديها الهالكتين طعام اطفالها الذين بدورهم سوف يكونوا مجرمين وعواهر في المستقبل القريب.

قفز الغزاة جدران المنزل المتهالك ودب الرعب في جنباته، وفر الاطفاء كالجرذان الهلعة لا تلوي على شيء

سوى ان تختفي خلف ستارة أو دولاب يحجب الرؤية، استل كبيرهم سيفه وقام الاخر بربط الاضحية جيدا، كبر قصيرهم، وانشد الاخر، لم تكن الرقبة قوية سوى انها مشوهة بأثار قبل وردية كانت لا تزال عالقة تحكي قصة عشق ولوعة لليلة الفائتة.

المحتويات

الإهداء..... ٥

أبناء زهرة..... ٧

الصبي بلبول..... ١٠

كاظم الحمال..... ١٣

رحلة مع بائعة الخبز ٢٠

ثلاث لطخات من الدم ٣٥

عبثية..... ٣٩

تميمة ٤١

حلم رجل ميت ٤٩

تحول ٥٢

النجمة صفية ٥٤

اصغر غريق في العالم..... ٥٨

معجزات أمي ٦١

من صندوق الذكريات..... ٦٥

حميدة دنبك ٦٧

تناسخ الفراشات..... ٧٣

غرفة الصراخ..... ٧٨
الديك الأسود..... ٨٢
حرب الشوارع..... ٨٩
زواج..... ٩١
رجل التفاصيل..... ٩٣
لقطة صباحية..... ٩٧
جريمة اغتصاب..... ٩٩
فتاة العسلية..... ١٠٢
سرقة..... ١٠٦
نظرة من الأعلى..... ١٠٩
المبرد..... ١١٥
لقطة حوارية..... ١١٧
الزوجين والقصاب..... ١١٩
حياة قصيرة..... ١٢٣
رسالة إلى صديقي..... ١٢٨
قتل امرأة ميتة..... ١٣٠
المحتويات..... ١٣٣

٨١٢ / ٩٢
ح٥٩٩ ..... ، .....
..... / .....:- بغداد : منشورات
أحمد المالكي، ٢٠٢٢ .
(...) ص ؛ (١٤.٥ × ٢١ سم) .
١- الشعر العربي - العراق - أ- العنوان .

م ٠ و
.... / ٢٠٢٢

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (....) لسنة ٢٠٢٢م

منشورات أحمد المالكي
العراق - بغداد - شارع المتنبي
هاتف: ٠٧٧٣٣٩٢٩٣٧٨ - ٠٧٨١٩٣١٣٣٩٥
بريد إلكتروني: ahmedalmaliki0090@gmail.com
أحمد المالكي: Facebook